

السَّالِفِيُّونَ الْمُقَدِّسِيُّونَ هُمُ:
الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ
وَالْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ

الطبعة الثانية

١٤٣٥ هـ / ٢٠١٣ م

Web: www.Alaqsasalafi.com

منشورات الدعوة السلفية
كتاب رقم (١٠٥) جديد

السَّافِيُونَ الْمُقَدِّسِيُّونَ هَمُّ: الطائفة المنصورة والفرقة الناجية

تأليف:
هشام بن فهمي العارف

القدس ١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾
 أما بعد؛

قال تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ

-١

الْبُؤْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴿١﴾

فقوله تعالى :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ هذه صفة أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار منهم ، ونزل بعدها قوله تعالى يأمر المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين فقال في سورة «التوبة» :

٢- ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

قال العلامة السفاريني - رحمه الله - :

٣- «ولا ريب أنهم أئمة الصادقين، وكل صادق بعدهم فيهم يأتهم في صدقه، بل حقيقة صدقه اتباعه لهم، وكونه معهم، . . فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسول على أممهم يوم القيامة، والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم، فهم شهداؤه، ولهذا نوه بهم، ورفع ذكرهم، وأثنى عليهم» (٢).

أما المنافقون - نعوذ بالله منهم - فقد وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز بالكذب في آيات متعددة، وكذلك وصفهم نبيه ﷺ في أحاديث صحيحة متعددة، ومما ينبغي أن يعرف أن الصدق والتصديق يكون في الأقوال والأعمال، قال تعالى في سورة «البقرة» :

٤- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)﴾

قال قتادة - رحمه الله - :

٥- «إن القوم كانوا يعلمون، ولكنهم نبذوا علمهم، وكتموه وجحدوا به».

(١) سورة «البقرة».

(٢) «لوامع الأنوار البهية»، (٢/٣٨٤).

- ونقل القرطبي في الجامع قول الشعبي - رحمهما الله - :
- ٦- «هو بين أيديهم يقرؤونه؛ ولكن نبذوا العمل به» .
وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله - :
- ٧- «أدرجوه بالحرير والديباج، وحلوه بالذهب والفضة، ولم يحلوا حلاله، ولم يحرموا حرامه؛ فذلك النبذ» .
وقال الشيخ السعدي - رحمه الله - :
- ٨- «وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين، وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به» .
ثم قال :
- ٩- «ولما كان من العوائد القدسية والحكمة الإلهية، أن من ترك ما ينفعه وأمكنه الانتفاع به ولم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل» .
قلت :
- كذلك اليهود والنصارى لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر، وكذلك الناظر في أحوال مجتمعاتنا الآن يرى انصراف الناس إلى السحرة والمشعوذين والأخبار والرهبان الضلال لأن قطاعاً كبيراً من الناس آثر ترك الحق فابتلوا باتباع الباطل وأكبره اتباع الشياطين، قال تعالى في الآية التالية :
- ١٠- ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ . . (١٠٢)﴾

ومن السحر الذي يمارسه الأحيار والرهبان الضلال، ودجاجلة العصر إقناع الناس أنهم الطائفة المنصورة!! وأنهم العلماء!! بل وأنهم كبار العلماء!! فجعلوا لأنفسهم هيئة!! أو رابطة!! أو بطانة!! أو مركزاً!! ثم صنعوا لهم كمّاً وفيراً من فئات الناس أو الشرطة ليحاموا عنهم!! قال تعالى في سورة «آل عمران»:

١١- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)﴾
فقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أي: رموه وطرحوه.

وقوله: ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: تمثيل عن قلة مبالاتهم به، أخرج ابن عبد البر عن مالك بن مغول في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال:

١٢- «تركوا العمل به».

وأخرج الخطيب البغدادي في كتابه «اقتضاء العلم العمل» عن عمر بن الخطاب قوله:

١٣- «لا يغركم من قرأ القرآن إنما هو كلام نتكلم به، ولكن انظروا من يعمل به».
وقال الشيخ السعدي رحمه الله:

١٤- «فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفاً من إثم الكتمان. وأما الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبدوا هذه العهود والمواثيق، وراء ظهورهم فلم يعبئوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤاً على محارم الله، وتهاوناً بحقوقه تعالى، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمناً قليلاً، وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق».
فإذا كان العلماء قد أخذوا من هذه الآية الكريمة، وجوب إظهار الحق،

وتحريم كتمانها . فما بالك ترى كثيراً من الأحرار والرهبان يبيعون دينهم اليوم في زمن شاء الله تعالى لهم فيه الابتلاء والاختبار؟ لذا أنهى الله تعالى الآية تهديده لهم بقوله: ﴿فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ قال العلامة السعدي رحمه الله:

١٥- «لأنه أخس العوض ، والذي رغبوا عنه - وهو بيان الحق ، الذي فيه السعادة الأبدية ، والمصالح الدينية والدينية - أعظم المطالب وأجلها ، فلم يختاروا الدين الخسيس ويتركوا العالی النفيس إلا لسوء حظهم وهوانهم وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له» .

وقد ذكر الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله فوائد الآيتين فتخيّرت منها:

١٦- «أن من نبذ العهد من هذه الأمة فقد ارتكب محظورين : أحدهما : النفاق ؛ . . والمحذور الثاني : مشابهة اليهود» .

ومنها:

١٧- «أنه مع هذا البيان والوضوح ، فإن فريقاً من الذين أوتوا الكتاب نبذوا هذا الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ» .

ومنها:

١٨- أن نبذ من عنده كتاب وعلم أقبح ممن ليس عنده ذلك ؛ ولهذا نص على قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ﴾ لإظهار شدة القبح من هؤلاء في نبذهم ؛ لأن النبذ مع العلم أقبح من النبذ مع الجهل» .

ومنها:

١٩- «توكيد قبح ما صنع هؤلاء المكذّبون ؛ لقوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ؛ لأنهم في الواقع يعلمون ؛ ولكن فعلهم كأنه فعل من لم يعلم» .

ومنها:

٢٠- «ن هذا النبذ الذي كان منهم لا يرجى بعده قبول؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ لأن النبذ لو كان أمامهم ربما يتلقونه بعد؛ كذلك لو كان عن اليمين، والشمال، لكن إذا كان وراء الظهر فمعناه استبعاد القبول منهم».

ولما كانت هذه النوعية من الأخبار والرهبان (مشايخ السوء) تعيث في الأرض دجلاً وفساداً، أحببت أن أبين أنه لا إحباط ولا يأس في زمن علا التحوت فيه على الوعول، لأنه - بفضل من الله - لا تزال طائفة في الأرض ظاهرة على الحق؛ وتبين خطورة هؤلاء (السفلة)، هؤلاء الذين سموا أنفسهم بالعلماء أو بكبار العلماء!! (ودجّلوا) وهم في الحقيقة (علماء سوء) لأنهم تاجروا بالدين من أجل الدنيا، وصدّوا عن سبيل الله، فكان النفاق بضاعتهم وسلعتهم التي بها يتاجرون، وكان الكذب رأس مالهم الذي به يستثمرون حيلهم على الناس. فيحفظون بالكذب والدجل مصالحهم، ويسعون به إلى تأمين هيمنتهم على الباطل.

لذا شرعت في بيان صفات الطائفة المنصورة كما ورد ذكرها في الكتاب العزيز والأحاديث الصحيحة، فتناولت نصوص حديث الطائفة بمتونه فقرة فقرة، لأنهم السابقون، ومن السابقين، وهم أهل الحديث، يمسكون بالكتاب.

والطائفة المنصورة هم العدول بتعديل الله لهم، فهم الحراس وكلهم الله تعالى بحفظ دينه ويبعثهم عند دروس السنّة وظهور البدعة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم، وهم الغرباء الذين دعا لهم النبي ﷺ بقوله:

٢١- «طوبى للغرباء».

وفي الشام كما قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب - رحمه الله -:

٢٢- «لا تزال طائفة على الحق وإن قلت واغتربت».

وهي اليوم في القدس لا أعلم في الشام أحداً غيرها، فمن قال بغير الذي قلت: فليأت ببرهانه إن كان صادقاً، ولا نريد أن نسمع جعجة ولا نرى طحناً، لأن كثيراً ممن انتسب إلى الفرقة الناجية والدعوة السلفية تبين لنا خذلانه، بل ونفاقه!! فكيف بمن أراد أن يعتلي الفرقة الناجية والدعوة السلفية بانتسابه إلى الطائفة المنصورة!! فإذا كان حاله مفضوحاً وهو يدّعي الانتساب إلى الدعوة السلفية فكيف بحاله وهو يدّعي أنه في الطائفة المنصورة أو مع الطائفة المنصورة؟ إننا على يقين أن ما يفعله هؤلاء من التلبّيسات والتدليسات له نهاية وهم فيها إلى الخزي والعار. لذا سمّيته السلفيون المقدسيون هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية. جعله الله خالصاً لوجهه الكريم، موصلاً إلى ما لديه من الزلفى والنعيم المقيم، ونسأله بفضل رحمته إيانا أن يشركنا فيما قسم لأوليائه المؤمنين، وعباده الصالحين، من صالح العمل، وأن يغفر لنا الخطأ والخطل، والحبوب والزلل، اللهم عد علينا برأفتك ورحمتك، فقد يمّا سترت، وعظيماً غفرت، وكثيراً أمهلت. وأنت أحق من تمم، وأولى من جاد وتكرم، وأكرم من تفضل وأنعم. وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

القدس حرسها الله من كيد المعاندين

صباح يوم الاثنين

تاريخ الطبعة الأولى: ١٤/١٠/١٤٣٢ وفق ١٢/٠٩/٢٠١١

تاريخ الطبعة الثانية: ١٠/٠١/١٤٣٥ وفق ١٤/١١/٢٠١٣

وكتب

هشام بن فهمي بن موسى العارف

السَّلَفِيُّونَ الْمُقَدِّسِيُّونَ هُم: الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ وَالْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم .
أما بعد؛

فالفقرة الأولى من مطلع حديث الطائفة المنصورة المتواتر الذي رواه:
أبو هريرة، وعمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان، وقره بن إياس،
وعمران بن الحصين، وجابر بن عبد الله، وثوبان، وسلمة بن نفييل،
والمغيرة بن شعبة، وغيرهم، عن النبي ﷺ:

٢٣- «لا تزال طائفة (وفي رواية: لا يزال ناس) من أمتي، (وفي رواية: لن تزال
طائفة من أهل الإسلام)». (١)

أفادت أن هذه الطائفة «بعض» من أمة محمد ﷺ، وأنها طائفة مستمرة،
اتبعت الأوائل واستمرت على الذي كانوا عليه، قال تعالى:

٢٤- ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ . . . (١٠٠)﴾ (٢)

(١) أخرجها البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم، وهي في «السلسلة الصحيحة» أرقام: (٢٧٠) و(٤٠٣)
و(١٩٥٥) و(١٩٥٦) و(١٩٥٧) و(١٩٥٨) و(١٩٥٩) و(١٩٦٠) و(١٩٦١) و(١٩٦٢).

(٢) سورة «التوبة».

- قال الشيخ السعدي - رحمه الله - :
- ٢٥ - «السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة، وبدروها إلى الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله» .
وقال - رحمه الله - :
- ٢٦ - «وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾: بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من الله» .
وفيها الإشارة إلى بقاء الملة، ولقوله - عليه السلام - :
- ٢٧ - «في كل (وفي رواية: لكل) قرن من أمتي سابقون» .^(١)
ففي الحديث إشارة إلى استمرار الطائفة المنصورة قرناً بعد قرن، وأن السابقين في كل قرن هم أتباع السابقين الأولين بالاعتقادات والأقوال والأعمال .
قال ابن كثير - رحمه الله - :
- ٢٨ - «فالتابعون لهم بإحسان هم: المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية» .
وقال الشنقيطي - رحمه الله - :
- ٢٩ - «صرح تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان، أنهم داخلون معهم في رضوان الله تعالى» .
وفي قوله - عليه السلام - : «لا تزال طائفة من أمتي» بشارة في حفظ هذه الأمة إلى يوم القيامة، يشهد لها قوله ﷺ :
- ٣٠ - «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته» .^(٢)

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٢٠٠١).

(٢) أخرجه ابن ماجه، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢).

قال الإمام أحمد في تفسير هذا الحديث :

٣١- «هم أصحاب الحديث»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

٣٢- «فعلم بخبره الصدق أنه لا بد أن يكون في أمته قوم متمسكون بهديه الذي هو

دين الإسلام محضاً، وقوم منحرفون إلى شعبة من شعب دين اليهود أو إلى

شعبة من شعب دين النصارى، وإن كان الرجل لا يكفر بهذا الانحراف، بل

وقد لا يفسق أيضاً، بل قد يكون الانحراف كفراً، وقد يكون فسقاً، وقد

يكون سيئةً، وقد يكون خطأً. وهذا الانحراف أمر تتقاضاه الطباع ويزينه

الشیطان، فلذلك أمر العبد بدوام دعاء الله سبحانه بالهداية إلى الاستقامة؛

التي لا يهودية فيها ولا نصرانية أصلاً»^(٢).

وفي رواية :

٣٣- «لا يزال (وفي رواية: لن يبرح) هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من

المسلمين حتى تقوم الساعة»^(٣).

وفي الحديث بشارة بظهور هذا الدين على جميع الأمم إلى قيام الساعة.

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - :

٣٤- «فالدين هو دين الحكمة التي هي معرفة الصواب، والعمل بالصواب،

ومعرفة الحق، والعمل بالحق في كل شيء»^(٤).

وقد تمسكت الطائفة بدين الله الحق، قال تعالى :

٣٥- ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ

(١) «الأداب الشرعية» (ص: ٢٦٦).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (المقدمة).

(٣) أخرجه ابن حبان، وأحمد، وغيرهما، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٩٦٣) و(٩٦٤).

(٤) «تيسير اللطيف المنان» (ص: ٥٠).

المُصْلِحِينَ (١٧٠) ﴿١﴾

فقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قال ابن كثير:

٣٦- «أي: اعتصموا به واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره».

وقال الشيخ السعدي - رحمه الله -:

٣٧- «وهذه الآية وما أشبهها دلت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام

بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم».

ولا شك أن الطائفة المنصورة هي الأصلح، لأنها على الجادة متمسكة بهدي النبي ﷺ. تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فهي صالحة في نفسها ومصلحة لغيرها، قال البقاعي رحمه الله:

٣٨- «وهو إشارة إلى إن التمسك بالسنة في غاية الصعوبة لا سيما عند ظهور الفساد».

فالتمسك بالحق والثبات عليه من الجهاد في سبيل الله، ويحتاجه السلفي

باستمرار، فعليه أن يكثر من ذكر الله تعالى في كل أحواله لقوله تعالى:

٣٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾ ﴿٢﴾

ومعلوم أن السلفيين «الطائفة المنصورة» يلاقون خصومهم في كل لحظة، لأن خصومهم يتعقبونهم ليخرجوهم من النور إلى الظلمات بعد إزهايمهم، فلا بد من دحر خصومهم ورددهم وقتالهم بالحجة والكلمة التي من وسائلها القلم واللسان، وهذا النوع من الجهاد أشد قوة من استعمال السنان، لأن النصر للطائفة لا يكون إلا بتحقيق الأول ولا يلزمه في كثير من

(١) سورة «الأعراف».

(٢) سورة «الأنفال».

الأحوال الثاني . وقد انتصر الأنبياء والمرسلون في كثير من المواطن بظهور الحجة ، ولو أذن الله تعالى لهم باستعمال السلاح كان الدرب لهم مذلاً ليس فيه من الصعوبة مثل الذي في الأول ، فالطائفة مستمرة في جهادها في سبيل الله باللسان والسنان ، ممدوحة على ذلك ، فيشمل ظهورها : الظهور بالحجة والبيان ، وبالسلاح والسنان ، لذا فهي طائفة كما وصفها النبي ﷺ :
٤٠ - «عزيزة إلى يوم القيامة» .^(١)

والعزيز : هو الممتنع الذي لا يُنال بالأذى ، لذلك سُمِّي أبو ذؤيب العُقَاب : عزيزة ، لأنها تتخذ وكرها في أعلى الجبل ، فهي ممتنعة على من يريد لها .
وقال العسكري :

٤١ - «والصفة بعزيز : لا تتضمن معنى القهر» .

لكن وصفها النبي ﷺ بأنها قاهرة - كما سيأتي معنا في (١٧٥) - قال العسكري :

٤٢ - «والصفة بقاهر : تتضمن معنى العز ، يقال قهر فلان فلاناً إذا غلبه وصار مقتدراً على إنفاذ أمره فيه» .^(٢)

فهذه العصابة في أمة محمد ﷺ لا تزال متمسكة بدين الله الإسلام لا تحيد عنه قيدَ أملة ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، وفي الفتن تقبض الطائفة على دينها الإسلام وتزيد تمسكها به ، وتصبر فتكون في صبرها على ذلك كالقابض على الجمر ، قال ﷺ :

٤٣ - «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» .^(٣)

(١) أخرجها أبو نصر السجزي في «الإبانة»، والهروي في «ذم الكلام»، عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - .

(٢) «معجم فروق اللغة» .

(٣) أخرجها الترمذي، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٩٥٧) .

قال الطيبي - رحمه الله - :

٤٤ - «المعنى : كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر لإحراق يده، كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه ؛ لغلبة العُصاة والمعاصي ، وانتشار الفسق ، وضعف الإيمان» .

والحديث من أعلام نبوته ﷺ ، فالغريب في آخر الإسلام كالغريب في أوله ، والفضل الجزئي لا ينافي الفضل الكلي ، لأن فضل الصحبة لا يعدله شيء ، فالطائفة المنصورة في آخر الزمان - في زخم الاختلافات والتفرق والفتن - غريبة لأنها :

اكتسبت غربتها بسبب تمسكها بالكتاب والسنة الصحيحة .

واكتسبت غربتها بسبب صلاحها وإصلاحها لغيرها .

واكتسبت غربتها بسبب صدقها وثباتها أمام تحديات المنافقين والمفسدين ، فهي تحيي السنة وتكسر البدعة ، فالسنة عند غلبة الفساد لا يجد المتمسك بها من يعينه ، بل يؤذيه ويهينه .

واكتسبت الطائفة المنصورة غربتها لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولا تخشى في الله لومة لائم .

واكتسبت غربتها بسبب معارضتها أهل الرياسة الدينية من علماء السوء ، فحطت من رياستهم وكشفت ألعابهم ، وبارزتهم بالمحاربة ، وتصدّت لبدعهم ، ونفاقهم ، وتدليسهم ، وتزويرهم ، وشبهاتهم ، وخطرستهم ، وذلك أشد القبض على الجمر .

والطائفة غريبة لقلّة أنصارها ، ولأنها كما قال ﷺ :

٤٥ - «من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» .^(١)

(١) أخرجه أحمد، وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٦١٩).

فهي في جهاد في سبيل الله ، بينما الناس في جهل وقد انصرف الكثير منهم إلى الأهواء المضلة ، ومحدثات الأمور ، وقدّموا زبالة آرائهم على القرآن والسنة الصحيحة وفهم السلف الصالح . ومن ثم قال الثوري :
٤٦ - «إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه» .
وقال :

٤٧ - «إذا رأيت الرجل محبباً لجيرانه فاعلم أنه مدهن» .
وقال :

٤٨ - «إذا رأيت الرجل يحب أن يحبه الناس كلهم ؛ ويكره أن يذكره أحد بسوء فاعلم أنه منافق» .

و«الطائفة» في لغة العرب تقع على الواحد فما فوق ، وتنكير الطائفة في الحديث للتقليل ، أو للتعظيم ؛ لعظم قدرهم ووفور فضلهم . وجاءت في رواية بلفظ :
٤٩ - «عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم يوم القيامة» .^(١)
ومعناها بكسر العين : الجماعة الذين أمرهم واحد يشد بعضهم بعضاً .
ووصفت الطائفة في رواية بالأمة ، فقال - عليه السلام - :
٥٠ - «لا تزال أمة من أمتي» .^(٢)

والأمة بمعنى : الجماعة ، وهو الاستعمال الغالب ، واتفق علماء اللغة على أن «الأمة» بمعنى الدين والشريعة والطريقة ، قال ابن جرير الطبري :
٥١ - «والأمة : الدين . والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد : أمة» .
قال تعالى :

٥٢ - ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٣)

(١) أخرجها الإمام أحمد بسند صحيح .

(٢) أخرجها الإمام أحمد ، وهي في «السلسلة الصحيحة» (١٩٧١) .

(٣) سورة «الأعراف» .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - :

٥٣- «وأما «الأمة» في هذا الموضع؛ فإنه يعني بها الجماعة من الناس».

وقال ابن كثير - رحمه الله - :

٥٤- «وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة».

وفي الآية فضيلة لأمة موسى - عليه السلام - لأن الله تعالى جعل منهم

هداة يهدون بأمره . وقال تعالى :

٥٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾^(١)

ووصف الله تعالى الطائفة المنصورة عند تلاوتهم الكتاب بقوله :

٥٦- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾^(٢)

وأنهم على الاستقامة، يتلون آيات الله آناء الليل، ويأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر قال تعالى :

٥٧- ﴿... مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)﴾^(٣)

فإن هؤلاء ليس المراد بهم من تمسك باليهودية والنصرانية بعد محمد قطعاً،

فإن هؤلاء قد شهد لهم بالكفر وأوجب لهم النار، فلا يثنى عليهم بهذا

الثناء . وليس المراد بهم من آمن من أهل الكتاب ودخل في جملة المؤمنين

(١) سورة «الصف».

(٢) الآية (١٢١) من سورة البقرة، وجرى تفسيرها في المقال: «المبتدعة والخوارج في خسران؛ وإن قرءوا

القرآن» تاريخ (١٥/٩/١٤٣٢).

(٣) سورة «آل عمران».

وبين قومه، فإن هؤلاء لا يطلق عليهم أنهم من أهل الكتاب إلا باعتبار ما كانوا عليه، وذلك الاعتبار قد زال بدخولهم الإسلام وإيمانهم بمحمد - عليه السلام - واستحدثوا اسم المسلمين والمؤمنين. فيكون المشار إليهم في الآية: الطائفة المنصورة من أهل الكتاب قبل بعثة عيسى ﷺ، أو الطائفة المنصورة من أهل الكتاب قبل بعثة محمد ﷺ.

ومن صفاتهم أيضاً الاقتصاد في العمل، قال تعالى:

٥٨- ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٦) ﴿١﴾

قال الربيع بن أنس:

٥٩- «فهذه الأمة المقتصدة، الذين لا هم جفوا في الدين ولا هم غلوا». (٢)

وقال ابن عطية رحمه الله:

٦٠- «معناه: معتدلة، والقصد والاقتصاد: الاعتدال، والرفق، والتوسط الحسن في الأقوال والأفعال».

وأطلق الله تعالى هذا الوصف على من كان متصفاً بهذه الأوصاف قبل بعثة

محمد ﷺ وعلى من أدرك من هؤلاء بعثته بقوله:

٦١- ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١) ﴿٣﴾

قال الخازن - رحمه الله -:

٦٢- «وفي الآية دليل على أنه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدي إليه».

وفي قصة أبي القرن رجل من علماء بني إسرائيل أنه:

٦٣- «أخذ ورقة فكتب فيها كتاب الله، ثم أدخلها في قرن، ثم علقها في عنقه، ثم لبس عليها الثياب، ثم أتاهم، فعرضوا عليه الكتاب فقالوا: تؤمن بهذا؟

(١) سورة «المائدة».

(٢) أخرجه الطبري.

(٣) سورة «الأعراف».

فأشار إلى صدره - يعني الكتاب الذي في القرن - فقال : آمنت بهذا، ومالي لا أو من بهذا؟ فخلوا سبيله .

قال : وكان له أصحاب يغشونه فلما حضرته الوفاة أتوه، فلما نزعوا ثيابه وجدوا القرن في جوفه الكتاب، فقالوا: ألا ترون إلى قوله : آمنت بهذا ومالي لا أو من بهذا، فإنما عنى بـ (هذا) هذا الكتاب الذي في القرن .
قال : فاختلف بنو إسرائيل على بضع وسبعين فرقة، خير مللهم أصحاب أبي القرن» .^(١)

ومعلوم أن تفاصيل الحق تؤخذ من شرع الله؛ وتؤخذ من فهم السلف - رضوان الله عنهم - الذين سلكوا بنصوص الوحي عند العمل سبيل الحق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

٦٤ - «فالناس قبل مبعث الرسول ﷺ كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جهال وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة. فأما بعد ما بعث الله الرسول ﷺ فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر - كما هي في دار الكفار - وقد تكون في شخص دون شخص - كالرجل قبل أن يسلم فإنه يكون في جاهلية وإن كان في دار الإسلام - . فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة» .^(٢)
وفي قوله تعالى :

٦٥ - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

(١) «السلسلة الصحيحة» (٢٦٩٤).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص: ٧٨-٧٩).

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . . (١٤٣) ﴿١﴾

قال الإمام البخاري:

٦٦- «هم الطائفة المذكورة في حديث: «لا تزال طائفة من أمتي». (٢)

وأشار رحمه الله إليها في «صحيحه» «كتاب الاعتصام» بقوله:

٦٧- «باب ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم».

ومن اعتصم بالكتاب والسنة وكان على منهاج النبوة والسلف ينصر الحق وأهله؛ فقد نجا في الدنيا والآخرة من الضلال والعذاب، قال أبو شامة - رحمه الله -:

٦٨- «حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق وإتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً؛ أي الحق هو ما كان عليه الصحابة الأول من الصحب ولا نظر لكثرة أهل الباطل بعدهم». (٣)

وقال البيهقي - رحمه الله -:

٦٩- «إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانوا عليه من قبل؛ وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ». (٤)

فالجماعة وإن كنت وحدك؛ لأنك تشهد بحق ما بلغك إياه نبيك محمد ﷺ، وشرط قبول الشهادة العدالة، وقد ثبتت لهم هذه الصفة بقوله: ﴿وَسَطًا﴾ قال ابن القيم - رحمه الله -:

٧٠- «فمن لم يقيم بهذه الشهادة علماً وعملاً ومعرفةً وإقراراً ودعوةً وتعليماً

(١) سورة «البقرة».

(٢) «خلق أفعال العباد» (ص: ٦٠) و«الفتح» (١٣/٢٩٣).

(٣) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص: ٢٢).

(٤) نقله المناوي في «فيض القدير» ط ١ عام ١٣٥٦

وإرشاداً فليس من شهداء الله». (١)

وقال صاحب «بحر الفوائد»:

٧١- «فإذا جعل الله هذه الأمة شهداء على الناس يوم القيامة، وعدلهم الله بقوله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدل، فشهادة العدل مقبولة لا ترد، والحكم به واجب في القضاء، فإذا شهدوا على إنسان بصلاح قبلت شهادتهم، وإن كان الأمر في المغيب غير ذلك، وإذا شهدوا على آخر بفساد قبلت شهادتهم، وإن كان الأمر في المغيب غير ذلك؛ لأن على الحاكم القضاء بشهادة العدول، فهذه الأمة شهود، والله عدلهم، ورسوله ﷺ زكاهم بقوله: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، وقد قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فوصفهم الله تعالى بهذه الصفة وقال في غيرهم: ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ فغيرهم كانوا يأمرون الناس بالبر وهو الإيمان بالله تعالى ورسوله، ثم لا يؤمنون هم، وهم اليهود وبعض مشركي قريش، والمؤمنون بخلاف ذلك، فهم يأمرون بالمعروف ويأتونه، وينهون عن المنكر ويحسبونه، فهم عدول صادقون بتعديل الله لهم، وهم أذكيا صديقون بتزكية رسول الله لهم، فوجبت القضية بشهادتهم». (٢)

وقال المناوي - رحمه الله - في «فيض القدير»:

٧٢- «فهم عدول بتعديل الله لهم، فإذا شهدوا على إنسان بصلاح أو فساد؛ قبل الله شهادتهم وتجاوز عن من يستحق العذاب في علمه فضلاً وكرماً لأوليائه».

(١) «مدارج السالكين» (٣/٤٧٤).

(٢) «المسمى بمعاني الأخبار» (ص: ٤٧٧).

- وقال محمد الخضر حسين - رحمه الله - :
٧٣- «القرآن يرشد إلى أن يكون دعاة الإصلاح جماعة، وأن يكون أدب هذه الجماعة الاتحاد والتعاقد». (١)
- والوسط : العدل، وهو الأرجح، قال الأزهري - رحمه الله - :
٧٤- «العدل هو الحكم الحق» .
- فمن عمل بالحق عدل وأصاب العدالة، قال نصر بن إبراهيم المقدسي - رحمه الله - :
٧٥- «وإذا أخبر الله تعالى أن الأمة عدل لم يجز إجماعهم على الضلالة، لأنه لا عدالة مع الضلالة». (٢)
- عن يسير بن عمرو قال : شيعنا ابن مسعود حين خرج فنزل في طريق القادسية فدخل بستاناً فقضى حاجته، ثم توضأ ومسح على جوربيه ثم خرج وإن لحيته ليقطر منها الماء، فقلنا له : اعهد إلينا، فإن الناس قد وقعوا في الفتن، ولا ندري هل نلقاك أم لا، فقال :
٧٦- «اتقوا الله واصبروا حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر، وعليكم بالجماعة، فإن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة». (٣)
- وثبت عنه عليه السلام أنه قال :
٧٧- «إن الله قد أجاز أمتي من أن تجتمع على ضلالة». (٤)
- قال ابن بطلال - رحمه الله - :
٧٨- «معنى هذا الباب الاعتصام بالجماعة، ألا ترى قوله : ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَيَّ

(١) «الدعوة إلى الإصلاح» (ص:٤٦).

(٢) «مختصر الحجة» (ص:١٤٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، والطبراني في «الكبير»، وإسناده صحيح.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة»، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٣٣١).

النَّاسِ ﴿ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ غَيْرِ مَقْبُولِي الْقَوْلِ ، وَلَمَّا كَانَ الرَّسُولُ
وَاجِبًا اتِّبَاعَهُ وَجِبَ اتِّبَاعُ قَوْلِهِمْ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي قَبُولِ قَوْلِهِمْ
وَزَكَاهُمْ وَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ يَعْنِي :
عَدْلًا .

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - :

٧٩- «فَعَدَّلَهُمْ وَجَعَلَهُمْ شُهَدَاءَ ، فَدَلَّ عَلَى أَنْ قَبُولَ قَوْلِهِمْ وَاجِبٌ ، إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ
يَعْدَلَهُمْ وَيَجْعَلَهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَوْلُهُمْ حُجَّةً عَلَيْهِمْ» .^(١)
فَقَوْلُ مَنْ عَدَّلَهُمْ وَجَعَلَهُمْ شُهَدَاءَ حُجَّةٌ ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ
اللَّهُ - :

٨٠- «وَالطَّائِفَةُ» فِي لُغَةِ الْعَرَبِ تَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ فَمَا فَوْقَ . فَلَوْلَا أَنَّ الْحُجَّةَ تَقُومُ
بِحَدِيثِ الْآحَادِ عَقِيدَةً وَحَكْمًا ؛ لَمَا حَضَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّائِفَةَ عَلَى التَّبْلِيغِ حُضْرًا
عَامًّا مَعْلَلًا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ . . . فَلَوْلَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَتَفَقَّهُوا
فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ الصَّرِيحُ فِي
أَنَّ الْعِلْمَ يَحْصُلُ بِإِنذَارِ الطَّائِفَةِ فَإِنَّهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْكُونِيَّةِ :
﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ فَالآيَةُ نَصٌّ فِي أَنَّ خَيْرَ الْآحَادِ حُجَّةٌ
فِي التَّبْلِيغِ عَقِيدَةً وَأَحْكَامًا .
وقال :

٨١- «وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ وَفِي الْقِرَاءَةِ
الْأُخْرَى : (فَتَبَيَّنُوا) فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَدْلَ إِذَا جَاءَ بِخَبَرٍ مَا فَالْحُجَّةُ قَائِمَةٌ بِهِ
وَأَنَّهُ لَا يَجِبُ التَّشْبِيهُ ، بَلْ يُؤْخَذُ بِهِ حَالًا ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ
فِي «الْإِعْلَامِ» (٢ / ٣٩٤) : وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْجُزْمِ بِقَبُولِ خَيْرِ الْوَاحِدِ ، وَأَنَّهُ لَا

(١) «التبصرة» (ص: ٣٥٤).

يحتاج إلى الثبوت ولو كان خبره لا يفيد العلم؛ لأمر بالثبوت حتى يحصل العلم^(١).

وتُعرف الطائفة المنصورة بالوسطية: لأنهم العدول، فنفي عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز، وجعلهم قدوة لغيرهم في التمسك بهدي محمد ﷺ فقال:

٨٢- ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾^(٢)
وعليه فإنهم هم المقصودون بالحديث:

٨٣- «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(٣).
قال الإمام أحمد رحمه الله:

٨٤- «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل؛ بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون

(١) «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» (ص: ٥٦-٥٧).

(٢) سورة «النساء».

(٣) رواه البيهقي، وسئل أحمد عنه فقال: صحيح، وصححه شيخنا الألباني في «المشكاة».

الجهال بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين»^(١).

وقال النووي في «التهذيب»:

٨٥- «وهذا إخبار منه بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقله، وأنه تعالى يوفق له في كل عصر خلقاً من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف، وهذا تصريح بعدالة حامله في كل عصر، وهذا من أعلام نبوته، ولا يضر معه كون بعض الفساق!! يعرف شيئاً من العلم».

وقال ابن القيم رحمه الله:

٨٦- «ولهذا لما سلط المحرفون التأويلات الباطلة على نصوص الشرع فسد الدين فساداً؛ لولا أن الله سبحانه تكفل بحفظه وأقام له حرساً وكلهم بحمايته من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين جرى عليه ما جرى على الأديان السالفة، ولكن الله برحمته وعنايته بهذه الأمة يبعث لها عند دروس السنة وظهور البدعة من يجدد لها دينها، ولا يزال يغرس في دينه غرساً يستعملهم فيه علماً وعملاً»^(٢).

وقال شيخ الإسلام الألباني رحمه الله:

٨٧- «ومما لا شك فيه أن تحقيق الاعتدال والتوسط بين الإفراط والتفريط وتمييز الصحيح من الضعيف لا يكون بالجهل أو بالهوى، وإنما بالعلم والاتباع، وأن ذلك لا يكون إلا بالفقه الصحيح عن رسول الله ﷺ وهذا الفقه لن يكون إلا بمعرفة ما كان عليه الرسول ﷺ من قول وفعل وتقرير. وإذ الأمر كذلك فإنه لا يمكن أن ينهض به إلا من كان من الفقهاء عالماً أيضاً بعلم الحديث وأصوله، أو على الأقل يكون من أتباعهم وعلى منهجهم»^(٣).

(١) خطبة كتاب «الرد على الجهمية».

(٢) «الصواعق المرسله» لابن القيم (٤٠٠/٢).

(٣) «تحريم آلات الطرب» (ص: ٦٩).

واعلم أيها النبيل أن العدل يحتاج إلى شجاعة، والشجاعة خلق رفيع يتميز به أهل الحديث، ويتميز أهل الحديث حقاً عن أهل الحديث ادّعاءً؛ بعلم الجرح والتعديل، لأن أصحاب الحديث لا يقفون عند غرلة الأحاديث، فحسب، بل يجهرون بجرح الضال من رواتها، ويشهدون بعدالة الصادق، ولا يخافون في الله لومة لائم. وقد بين النبي ﷺ فضل هؤلاء، وشجاعتهم في قول الحق والثبات عليه عندما قال:

٨٨- «إن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم، ينكرون المنكر». (١)

وقد عنون شيخنا الألباني - رحمه الله - لهذا الحديث بقوله:

٨٩- «فضل من ينكر المنكر في آخر الزمان».

فقوله - عليه السلام - : «يعطون مثل أجور أولهم» لأنهم رغم عظم المنكرات وانتشار الفساد وحدوث الفتن، لا يزالون متمسكين بدين الله الحق. ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وفي الحديث أشار النبي - عليه السلام - أن أجر المنكر في آخر الزمان أجر الأول، ثم ذكر في حديث آخر أن أجر المتمسك بالسنة آخر الزمان أجر خمسين من الرعيل الأول. وذلك بقوله:

٩٠- «إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين

منكم. قالوا: يا نبي الله! أو منهم؟ قال: بل منكم». (٢)

قال تعالى:

٩١- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)﴾

(١) أخرجه أحمد، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٧٠٠).

(٢) أخرجه ابن نصر في «السنة»، والطبراني في «الكبير»، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٤٩٤).

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾^(١)

وأصل البقية: ما يصطفيه الإنسان لنفسه من أشياء نفيسة يدخرها لينتفع بها، ومنه قولهم: فلان من بقية القوم، أي: من خيارهم وأهل الفضل فيهم. وهذه حال أتباع الأنبياء والمرسلين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إنهم من خيار الناس في الأكثرية الفاسدة. وعليه فإن هذه العصابة من أمة محمد ﷺ:

٩٢- «قائمة على الحق» (وفي رواية: قائمة بأمر الله) (وفي رواية: قوامة على أمر الله عز وجل)^(٢).

وفي هذه الروايات الإشارة إلى أن أمر هذه الأمة باق على الاستقامة، وأن أمرها شديد جار على الصواب والحق، بفضل تمكين الله للطائفة المنصورة؛ فهي تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهي عن المنكر. وأنهم:

٩٣- «لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء استدعاء إلى موافقتهم؛ لا يزالون في جهاد ونزاع ومدافعة وقراع آناء الليل والنهار، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل ويشيهم الثواب العظيم»^(٣).

وفي الآية توبيخ لكل من تقاعس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا خلت الأمة من الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس، أو استمر القوم في تعنيفهم وصدّهم عن القيام بمهمتهم؛ مع بقاء الضلال والظلام على ما هم عليه من ترك الحق وفعل المبتدعات، ونشر الضلالات، وارتكاب المعاصي والمنكرات، ولم يلتفتوا إلى إنكار أهل السنّة، فجأهم العذاب ﴿وَكَانُوا

(١) سورة «هود».

(٢) أخرجه البخاري، وابن ماجه، والطبراني، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١١٩٥) و(١٩٦٢) و(٣٣٦٧) و(٣٤٢٥).

(٣) قاله شيخنا الألباني في «صلاة العبيدين في المصلّى هي السنّة» (ص:٧).

مُجْرِمِينَ ﴿١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن كثير - رحمه الله - :

٩٤- «أي : قد وجد منهم من هذا الضرب قليل ، لم يكونوا كثيراً ، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غيرِه ، وفجأة نَقَمَه ؛ ولهذا أمر تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر» .

كما قال تعالى :

٩٥- ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) ﴿١﴾

قال القفال :

٩٦- «الأمة : القوم المجتمعون على الشيء الواحد ، يقتدي بعضهم ببعض ، مأخوذ من الائتمام» .

وهذه الأمة :

٩٧- «منتسبة للقيام بأمر الله ، في الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر» . ﴿٢﴾

ومعنى الآية : ولتكن منكم أيها المؤمنون طائفة تتمسك بالكتاب والسنة على منهاج النبوة والسلف ، يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولا يخشون في الله لومة لائم .

وقوله تعالى ﴿مِنْكُمْ﴾ للتبويض إشارة إلى أن الأمة تنتفع ويرتفع المقت عنها بهذه القلة المشار إليها ، فعليها أن تأمر بأمرها وتعمل بعلمها النافع وعملها الصالح . قال النووي رحمه الله :

٩٨- «وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة ، فان هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى

(١) سورة «آل عمران» .

(٢) قاله ابن كثير .

من زمن النبي ﷺ إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله» .

وقال السعدي رحمه الله :

٩٩- «وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع؛ كالصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكايل والموازين، وتفقد أهل الأسواق، ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ إِنْخ، أي: لتكون منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به، فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاتعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالمطلوب، الناجون من المهوب» .

وفي الوقت الذي حث الله عباده المؤمنين على الاعتصام بالكتاب والسنة

على منهاج النبوة والسلف بقوله :

١٠٠- ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ . (١٠٣) ﴿١﴾

حثهم على أن يكون منهم جماعة ظاهرة على الحق يعتصمون بها، بقوله :
﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ في الآية (١٠٤) من سورة آل عمران، ثم نهاهم عن

التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم، في الآية (١٠٥) فقال :

١٠١- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

فأولى الناس بهذه الآية العلماء لأن اختلافهم وتفرقهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ من أعظم المنكرات في المجتمع، قال الشيخ السعدي :

١٠٢- «فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾» .

فالطائفة المنصورة في الأرض أمان للأمة الإسلامية من الهلاك والاستئصال، فمهما عصفت في الأمة الفتن، فإن للطائفة الظاهرة دورها الفعال في حفظ الدين وظهره، فعن ثوبان مرفوعاً :

١٠٣- «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وإني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكوا بسنة عامة، ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي عز وجل قال : يا محمد! إني إذا قضيت قضاءً؛ فإنه لا يردُّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين

أقطارها، حتى يكون بعضهم يفني بعضاً، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع في أمتي السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله». (١)

ففي الحديث إشارة إلى منة الله تعالى على أمة محمد ﷺ بهذه الطائفة القائمة على الحق عبر الزمن، مهما عظمت الفتن، ولو تكالب عليها الكذّابون والمنافقون والأئمة المضلون، فإن الله تعالى يحفظ الإسلام على سداه وصوابه بهذه الطائفة، ألا ترى أنه بمجرد خلو الأرض من مؤمن فضلاً عن قائم بالحق تقوم الساعة على شرار الخلق. فعن رجاء بن حيوة قال:

١٠٤ - «نُعي إلينا ابن عمر في مجلس ابن محيريز، فقال ابن محيريز: إن كنت لأعد بقاء عبد الله بن عمر أماناً لأهل الأرض، فقال رجاء: وإن كنت والله لأعدُّ بقاء ابن محيريز أماناً لأهل الأرض». (٢)

وعن خالد بن دريك قال:

١٠٥ - «كانت في ابن محيريز خصلتان، ما كانتا في أحد ممن أدركت في هذه الأمة: كان أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن يتبين له تكلم فيه، غضب فيه من غضب، ورضي من رضي. وكان من أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده». (٣)

واعلم أن من جملة الاستقامة؛ التفقه في الدين، لذا كان اختيار الإمام

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود، وأحمد، وغيرهم.

(٢) «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (ص: ٣٣٥).

(٣) «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (ص: ٣٣٥).

البخاري لحديث معاوية بن أبي سفيان مرفوعاً:

١٠٦ - «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

وجعله في كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة»؛ هو من باب الاعتصام بهذه الطائفة ولزوم جماعة أهل العلم، واعتمد غيره من العلماء الأكابر وصف جماعة أهل العلم بأنهم:

١٠٧ - «أصحاب الحديث».

قال شيخنا الألباني - رحمه الله -:

١٠٨ - «لأن أهل العلم هم أهل الحديث، وكلما كان المرء أعلم بالحديث؛ كان اعلم في العلم ممن هو دونه في الحديث كما لا يخفى».

روى الحاكم، والخطيب البغدادي، عن الإمام أحمد أنه سئل عن معنى حديث الطائفة فقال:

١٠٩ - «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة فلا أدري من هم»^(٢).

وقال الحاكم:

١١٠ - «فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي

يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا

التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف الماضين، ودفَعوا

أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله - صلى الله عليه وآله أجمعين -»^(٣).

ووصفهم الخطيب البغدادي بقوله:

١١١ - «حفظة الدين وخرنته، وأوعية العلم وحملته»^(٤).

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد وغيرهم، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١١٩٤) و(١١٩٥) و(١١٩٦).

(٢) «معرفة علوم الحديث»، و«شرف أصحاب الحديث».

(٣) «معرفة علوم الحديث».

(٤) «شرف أصحاب الحديث».

ووصفهم ابن قتيبة - رحمه الله - بقوله :
١١٢ - «التمسوا الحق من وجهته ، وتبعوه من مظانه» .

إلى أن قال :

١١٣ - «حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً ، وبسق بعد أن كان دارساً ، واجتمع بعد أن كان متفرقاً ، وانقاد للسنن من كان عنها معرضاً ، وتنبه عليها من كان عنها غافلاً ، وحكم بقول رسول الله ﷺ بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان . . .» (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

١١٤ - «وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِأَنْ تَكُونَ هِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ ؛ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَتَّبِعٌ يَتَعَصَّبُونَ لَهُ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَأَعْظَمُهُمْ تَمَيِّزًا بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا ، وَأَأَمَّتُهُمْ فُقَهَاءُ فِيهَا وَأَهْلُ مَعْرِفَةِ بِمَعَانِيهَا وَاتِّبَاعًا لَهَا : تَصَدِيقًا وَعَمَلًا وَحُبًّا وَمُؤَالَاةً لِمَنْ وَالَاهَا وَمُعَادَاةً لِمَنْ عَادَاهَا» . (٢)

وهذه الطائفة هي المقصودة بقوله ﷺ في الحديث :

١١٥ - «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ؛ حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» . (٣)

والعلماء المشار إليهم في هذا الحديث من كان متمسكاً بالقرآن والسنة الصحيحة على منهاج النبوة والسلف ، ليس أحداً غيرهم مهما اعتلى منصباً أو تلقب لقباً .

(١) «تأويل مختلف الحديث» .

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/٣٤٧) .

(٣) متفق عليه .

وجاء في رواية ابن ماجه أن معاوية بن سفيان قام خطيباً فقال :
١١٦ - «أين علماءكم أين علماءكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول :
١١٧ - «لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم» .

ويتأكد ظهور الطائفة المنصورة زمن غربة الإسلام ، وفي الفتن ، وفي الزمن الذي يرفع فيه العلم ويظهر فيه الجهل ، لقوله ﷺ :
١١٨ - «إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء . قيل : من هم يا رسول الله؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس» .^(١)

ولا يعارضه قوله - عليه السلام - في الحديث في الرقم (١١٥) : (حتى إذا لم يبق عالماً) يعني : في مكان دون مكان ، أو في أرض دون أرض ، قال النووي :

١١٩ - «ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد ، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض ، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض منه دون بعض ، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً ؛ إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد ، فإذا انقرضوا جاء أمر الله» .^(٢)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى :

١٢٠ - «ومما يؤيد هذا : أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد ، بل هم في غالب

(١) أخرجه مسلم، وابن ماجه، دون السؤال، وأخرجه غيرهما بالسؤال، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٣).

(٢) نقله الحافظ في «الفتح» (٢٩٥/١٣) ملخصاً وزاد عليه.

الأمصار؛ في الشام منهم أئمة، وفي الحجاز، وفي مصر، وفي العراق، واليمن، وكلهم على الحق؛ يناضلون ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلاماً لأهل السنة وحنة على كل مبتدع. فعلى هذا؛ فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون في الشام وقد تكون في غيره؛ فإن حديث أبي أمامة وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان لا في كلها»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

١٢١ - «وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «ثُمَّ يَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ» أَعْظَمُ مَا تَكُونُ غُرْبَتُهُ إِذَا ارْتَدَّ الدَّاخِلُونَ فِيهِ عَنْهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ . فَهَؤُلَاءِ يُقِيمُونَهُ إِذَا ارْتَدَّ عَنْهُ أَوْلَئِكَ . وَكَذَلِكَ بَدَأَ غَرِيبًا وَلَمْ يَزَلْ يَقْوَى حَتَّى انْتَشَرَ . فَهَكَذَا يَتَغَرَّبُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمِنَةِ ثُمَّ يَظْهَرُ حَتَّى يُقِيمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا وُلِّيَ قَدْ تَغَرَّبَ كَثِيرٌ مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى كَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ . فَأَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ مَا كَانَ غَرِيبًا»^(٢).

وقال رحمه الله:

١٢٢ - «وَقَدْ تَكُونُ الْغُرْبَةُ فِي بَعْضِ شَرَائِعِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَمْكِنَةِ . فَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ يَخْفَى عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِهِ مَا يَصِيرُ بِهِ غَرِيبًا بَيْنَهُمْ لَا يَعْرِفُهُ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ . وَمَعَ هَذَا فَطَوْبَى لِمَنْ تَمَسَّكَ بِتِلْكَ الشَّرِيعَةِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . فَإِنَّ إِظْهَارَهُ وَالْأَمْرَ بِهِ وَالْإِنْكَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ هُوَ بِحَسَبِ

(١) نقله التويجيري في «اتحاف الجماعة» (٣٣٢/١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٩٦-٢٩٧).

الْقُوَّةُ وَالْأَعْوَانُ» (١).

وفي قمة الغربة ينبثق التجديد ليظهر دين الله الإسلام من جديد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

١٢٣- «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (٢).

لذا فإن الإمام البخاري أثبت الحديث في الرقم (١٠٦) في كتاب العلم بشرطيه:

الأول: «من يرد الله به خيراً».

والثاني:

١٢٤- «ولن تزال هذه الأمة قائمة».

وفي رواية:

١٢٥- «ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة» (٣).

فكان من جملة الأحكام التي اشتمل عليها الحديث كما قال الحافظ:

١٢٦- «أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبداً» (٤).

وفي رواية جابر بن سمرة رفعها:

١٢٧- «لا يزال هذا الأمر عزيزاً، (منيعاً) (وفي رواية: لا يزال أمر الناس ماضياً)» (٥).

وجاء في «مجالس الأبرار» لأحمد الرومي:

١٢٨- «والمراد من تجديد الدين للأمة: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٩٨/١٨).

(٢) رواه أبو داود، والحاكم، وغيرهما، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٩).

(٣) أخرجه الإمام البخاري.

(٤) «الفتح» (١٦٤/١).

(٥) أخرجه الإمام مسلم، وأحمد، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٣٧٦).

والأمر بمقتضاهما».

وقال :

١٢٩- «ولا يُعلم ذلك المجدد إلا بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه ، إذ المجدد للدين لا بد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة ، ناصراً للسنة قامعاً للبدعة ، وأن يعم علمه أهل زمانه ، وإنما كان التجديد على رأس كل مائة سنة لانخراط العلماء فيه غالباً ، واندراس السنن وظهور البدع ، فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين ، فيأتي الله تعالى من الخلق بعوض من السلف إما واحداً أو متعدداً»^(١).

قال أبو الطيب - رحمه الله - :

١٣٠- «فظهر أن المجدد لا يكون إلا من كان عالماً بالعلوم الدينية ، ومع ذلك من كان عزمه وهمته آناء الليل والنهار ؛ إحياء السنن ونشرها ، ونصر صاحبها ، وإماتة البدع ومحدثات الأمور ومحوها ، وكسر أهلها باللسان ، أو تصنيف الكتب والتدريس ، أو غير ذلك . ومن لا يكون كذلك لا يكون مجدداً البتة ، وإن كان عالماً بالعلوم مشهوراً بين الناس مرجعاً لهم»^(٢).

فلو خلت الأرض من عالم ؛ خلت من غرس الله ، وهذا لا يمكن ؛ لرحمته تعالى بهذه الأمة ، قال ابن القيم :

١٣١- «فإن العلماء هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك ، فموتهم فساد لنظام العالم ، ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفاً عن سالف يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده»^(٣).

(١) نقله أبو الطيب العظيم آبادي في «عون المعبود».

(٢) «عون المعبود» (١١/٢٦٣).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (ص:٦٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :
١٣٢ - «والتَّجْدِيدُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الدُّرُوسِ وَذَٰكَ هُوَ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ . وَهَذَا الْحَدِيثُ - يعني : حديث الغرباء - يُفِيدُ الْمُسْلِمَ أَنَّهُ لَا يَعْتَمُّ بِقَلَّةٍ مِّنْ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَضِيقُ صَدْرُهُ بِذَلِكَ ، وَلَا يَكُونُ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَ الْأَمْرُ حِينَ بَدَأَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبُرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى صِحَّةِ الْإِسْلَامِ .» (١)

وقال الإمام الأجرى رحمه الله :

١٣٣ - «وقوله ﷺ : «وسيعود غريباً» ؛ معناه - والله اعلم - أن الأهواء المضلّة تكثر ، فيضل بها كثير من الناس ، ويبقى أهل الحق الذين هم على شريعة الإسلام غرباء في الناس ، ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ : «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» . قيل : من هي الناجية؟ قال : «ما أنا عليه وأصحابي» .» (٢)

وقال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - :

١٣٤ - «وأهل الإسلام على غاية من الاستقامة في دينهم ، وهم متعاضدون ، متناصرون ، وكانوا على ذلك في زمن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ثم عمل الشيطان مكائده على المسلمين ، وألقى بأسهم بينهم ، وأفشى فيهم فتنة الشبهات والشهوات ، ولم تزل هاتان الفتتان تتزايدان شيئاً فشيئاً حتى استحكمت مكيدة الشيطان وأطاعه أكثر الخلق . فمنهم من ضل في طاعته في فتنة الشبهات ، ومنهم من دخل في فتنة الشهوات ، ومنهم من جمع

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨/٢٩٧-٢٩٨).

(٢) «الغرباء» (ص:٢٤).

بينهما، وكل ذلك مما أخبر النبي ﷺ بوقوعه». (١)

وقال رحمه الله:

١٣٥- «فلما دخل أكثر الناس في هاتين الفتنتين، أو أحدهما أصبحوا متقاطعين، متباغضين، بعد أن كانوا إخواناً متحابين، متواصلين، فإن فتنة الشهوات عمت غالب الخلق، ففتنوا بالدنيا وزهرتها، وصارت غاية قصدهم، لها يطلبون، وبها يرضون، ولها يغضبون، ولها يوالون، وعليها يعادون، فقطعوا لذلك أرحامهم، وسفكوا دماءهم، وارتكبوا معاصي الله بسبب ذلك، وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة فبسببها تفرق أهل القبلة وصاروا شيعاً، وكفر بعضهم بعضاً، وأصبحوا أعداء وفاقاً وأحزاباً، بعد أن كانوا إخواناً قلوبهم على قلب رجل واحد، فلم ينج من هذه الفرق كلها إلا الفرقة الواحدة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي . . الحديث».

فإن هؤلاء العلماء الغرباء كلما مات عالم قام بدله، فمعنى الأبدال قائم بهم - وإن لم تصح هذه اللفظة في حديث -، (حتى إذا لم يُبقِ عالماً) في مكان ما؛ لظهور المنكر فيه وغلبة المفسدين عليه، ووجد غيره - بفضل الله وكرمه - في مكان آخر؛ إذ يستحيل خلو الأرض من الطائفة القائمة بالحق، كما جاء في حديث قرّة بن إياس مرفوعاً:

١٣٦- «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة». (٢)

فيكون فساد أهل الشام خاصّة؛ علامة على فساد المسلمين عامّة ودخول الشر فيهم، لقوله: «فلا خير فيكم» لما خصّ الله تعالى الشام وأهلها من

(١) «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» (ص: ٤٠ - ٤١).

(٢) أخرجه أحمد، والترمذي، وغيرهما، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٤٠٣).

الفضائل ، ومع ذلك لا تخلو الأرض من عصابة قائمة على الحق ، تجاهد في سبيل الله ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ولا تخشى في الله لومة لائم ، وقد حصل ؛ فإن الشام لفساد أهلها في زمن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب لم يكن فيها من يظهر الدين كما أظهره الشيخ الإمام في الحجاز ، نص على ذلك الإمام نفسه في رسالته إلى الشيخ فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام حيث بعث له قائلاً :

١٣٧ - «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الوهّاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد زاده الله من الإيمان وأعاده من نزغات الشيطان .
أما بعد :

فالسبب في المكاتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلاماً حسناً سر الخاطر ، وذكر عنك أنك طالب مني المكاتبة بسبب ما يجيك عنا من كلام العدوان من الكذب والبهتان ، وهذا هو الواجب من مثلك أنه لا يقبل كلاماً إلا إذا تحقّقه ، وأنا أذكر لك أمرين قبل أن أذكر لك صفة الدين .

الأمر الأول : أني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي ﷺ أمته ، وأقول لهم : الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئاً ، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس .

والأمر الثاني : أن هذا الذي أنكروا علي وأبغضوني من أجله إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم يقول : هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله ، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني لأجل أن الدولة ما يرضون ، وابن عبد الوهّاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره ، بل لما عرف الحق اتبعه ، هذا كلام العلماء وأظن أنه وصلك كلامهم فأنت تفكر في الأمر الأول وهو قولي : لا تطيعوني ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله ﷺ الذي في كتبكم وتفكر

في الأمر الثاني : أن كل عاقل مقر به لكن ما يقدر أن يظهره»^(١).
فإذا مكن الله تعالى - في هذا الزمان - أن يقوم السلفيون المقدسيون بأعباء
الدعوة السلفية على منهاج النبوة والسلف، فقد طلّت البشائر، وصارت
الشام من بعد ضياع الأمة وغفلتها إلى ما أخبر النبي ﷺ أنها:
١٣٨ - «عقر دار المؤمنين (وفي رواية: الإسلام) بالشام»^(٢).

بعد أن كانت الحجاز محلاً للدعوة السلفية دهرًا من الزمان، والنبي ﷺ في
الحديث الذي أشار فيه إلى ارتفاع الخيرية عن الأمة بسبب فساد أهل الشام،
قرن معه حديث الطائفة ليشير به إلى أن الإصلاح الذي تمارسه الطائفة
المنصورة في القدس؛ فيه بشرى عودة الخيرية للأمة. فإن ظهور الطائفة
المنصورة هو الغالب في تاريخها، فإذا كان الشطر الأول «إذا فسد أهل الشام
فلا خير فيكم» من الحديث؛ فيه تحذير من وقوع الفساد في أهل الشام،
وعلامة على فساد المسلمين عموماً إذا وقع، جاء في الشطر الثاني إكرام الله
الأمة متى شاء الله بظهور الطائفة المنصورة في بلاد الشام خاصة، لأنها هي
وحدها لا غير وقتئذ الأقوى تأهيلاً لإعلاء كلمة الله، وإظهار الحق، وإزالة
الفساد، وبالتالي تتحقق الخيرية في عموم المسلمين، ويعود لهم مجدهم،
فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وترزق الأمة بالسداد
والتوفيق وتنعم بالبركة، ويعم النور الأرض من جديد - بإذن الله - بعد أن
كان طامساً.

وبناء عليه فإنه ما لم يكن هناك علماء ربانيون في بلاد الشام على منهاج
النبوة والسلف - وقد كثر في المسلمين الهرج، ونالت الفتن منهم، واشتدّت
عليهم، وزادت بها محنتهم - فإنه يصعب القول أنه بالإمكان إزالة الفساد

(١) "موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب" (٣٢/٦).

(٢) أخرجه النسائي، وابن حبان، وأحمد، والطبراني، وغيرهم، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٩٣٥).

وعودة الأمة إلى الخيرية .

فالشرط الثاني من الحديث كان بمثابة الحُصِّ على بعث الطائفة المنصورة في الشام ، فضلاً عن نصرتها إذا وجدت ، فها هي وقد عادت وظهرت ، فلم التوقف بل والتجمّد حيالها بل ورميها وراء ظهوركم؟ ولم هذه الحرب الضروس عليها؟ لم تكذيبها ومخالفتها؟ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

١٣٩ - «في الشام لا تزال طائفة على الحق وإن قلت واغتربت» .^(١)

فإذا تغلّب الأعداء عليهم ، وتسلبوا على ديارهم في زمن ما ؛ - كما هو حاصل الآن - فبسبب الفساد وفعل المنكرات ، وتقاعس أهلها عن القيام بواجبهم في نصره الحق وأهله بل ومحاربتهم له .

فالمسجد الأقصى في القدس أم بلاد الشام في زمن بني إسرائيل ، كان قبلة الأنبياء ، والمنارة في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل ، فأتباع أنبياء بني إسرائيل - عليهم الصلاة والسلام - عاشوا يقيمون شرع الله ، لكنهم في الوقت الذي كانوا يشركون في عبادة الله تعالى ، ويخالفون أوامر الله ، ويفسدون ، كان الله يعاقبهم بذنوبهم ويسلب عليهم الأعداء من كل حذب وصبوب لعلهم يرجعون . ومن رحمته لهم انه كان يبعث فيهم الأنبياء ؛ النبي تلو النبي يهدونهم إلى الحق ، ويرفعون عنهم المقت .

وكذلك يكون حال أهل الشام في زمان أمة محمد ﷺ ولا يزال المسجد الأقصى - ولله الحمد - منارة في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل بفضل الله ثم بجهاد الطائفة المنصورة والفرقة الناجية . فإذا فسد أهل الشام عاقبهم

(١) «تاريخ نجد» (ص: ٢٥٥).

الله بتسلُّط الأعداء عليهم من جديد لعلهم يرجعون . ومن رحمته لهم أنه يبعث فيهم من يدعوهم إلى الاستقامة وقيمهم على الحق، فإذا استقاموا انحسر عنهم الشرُّ؛ ونالوا بركة الخير، وإذا استمروا في الفساد والضلال نالهم ما نال بني إسرائيل من قبل واستحقوا التشرّد والضياع، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى :
 ١٤٠ - «ويشهد له الواقع، وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس من أزمنة طويلة، لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن؛ فإنهم في زمانهم على الحق؛ يدعون إليه، وينظرون عليه، ويجاهدون فيه، وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق، والتمسك بالسنة، والله على كل شيء قدير»^(١).
 وبلاد الشام بلاد الجهاد وبلاد إقامة الحجّة على أعداء الله، فلو تركت من غير إفشاء السنّة، لتمكّن منها أهل الكتاب، وهم كفار بنص الكتاب والسنة، وخطورتهم من باب الانتساب زوراً للموسى، وعيسى!! .
 وأشدّ منهم فساداً المنافقون وأهل الأهواء والبدع، وخطورتهم من باب التصنّع والابتداع في دين محمد ﷺ!! والسلف الصالح!!! .
 وأنبياء الله تعالى والصحابة - رضوان الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان أبرياء منهم ومن تدينهم المزورّ والمزيّف والمبتدع .
 وتبقى معالجة الفساد بالعلاج الذي هو العلاج، وبالذواء الذي هو الذواء، قال شيخنا شيخ الإسلام الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله :
 ١٤١ - «العلاج هو العلاج، والذواء هو الذواء، فبمثل ما عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأولى، فعلى الدعاة الإسلاميين اليوم جميعهم أن يعالجوا سوء

(١) نقله صاحب كتاب «اتحاف الجماعة» (١/٣٣٢).

الفهم لمعنى «لا إله إلا الله» ويعالجوا واقعهم الأليم بذلك العلاج والدواء نفسه، ومعنى هذا واضح جداً، إذا تدبرنا قول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) ﴿١﴾

فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر، وفي كل وقت وحين، ويقتضي ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولاً، ومن عبادتهم ثانياً، ومن سلوكهم ثالثاً... وإنما أريد أن يهتم بذلك المسلمون اهتماماً شديداً كبيراً.

واليوم فإن الطائفة الظاهرة في القدس ولله الحمد تعيش بشرى ظهورها في الشام من جديد رغم الفتن القاسية، وتلمس نتائجها الباهرة في أرض الواقع على الصعيدين المحلي والدولي رغم تكذيب المكذبين، وخذلان المخذلين؛ ومخالفة المخالفين، ومناوأة المناوئين، ونفاق المنافقين، ومعاداة المعادين، لذا جاءت وصية النبي ﷺ بالشام، وخصّها بالإيمان إذا وقعت الفتن، فقال:

١٤٢ - «ألا وإن الإيمان حين تقع (وفي رواية: إذا وقعت) الفتن بالشام». (٢)

فلا يكون للطائفة المنصورة تمكين على أرضها إلا أن تكون مسائل الإيمان في عقيدتها راسخة وواضحة على منهاج النبوة والسلف. ليس عندها في ذلك تعتيم أو موارد - كما هو حاصل اليوم - والشام بلاد ثغور، وثغر القدس أهمها، فالطائفة المنصورة في القدس - اليوم - في مسائل الفقه الأكبر لا سيما مسائل الإيمان راسخة - بفضل الله - وفي الوضوح ناصعة كالشمس في رائعة النهار. خلافاً لمن يسمون بـ «هيئة كبار العلماء!!» في المملكة العربية

(١) سورة الأحزاب.

(٢) أخرجه أحمد، وغيره وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٩٤).

السعودية» أو من تبعهم وقتلهم!! وصار ذليلاً ذليلاً لهم في داخل المملكة أو خارجها .

والحديث من البشائر التي بشر بها النبي ﷺ ففيه الإشارة إلى أن المستقبل للإسلام، فقد جاء في الشطر الأول منه :

١٤٣- «إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وصادتي، فنظرت فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام»^(١).
وفي رواية :

١٤٤- «إني رأيت الملائكة في المنام أخذوا عمود الكتاب فعمدوا به إلى الشام»^(٢).
قال الشيخ العز بن عبد السلام :

١٤٥- «أخبر ﷺ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان؛ يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام براء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك» .
وعن عبد الله بن عمرو قال :

١٤٦- «ليأتين على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا لحق بالشام»^(٣).
ومثله عن حذيفة قال :

١٤٧- «ليأتين على الناس زمان يكون للرجل أحمره يحمل عليها إلى الشام أحب

(١) أخرجه الحاكم، وغيره، وهو في «تخريج أحاديث فضائل الشام» (٣).

(٢) رواه ابن عساكر وهو في «تخريج أحاديث فضائل الشام» (١٠).

(٣) أخرجه النسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣٠٤/٢)، وابن أبي شيبه في «المصنف» (١٩٧٩١)، وعبد الله بن المبارك في «الجهاد» (١٩٣)، والحاكم في «المستدرک» (٤٥٧/٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في «التلخيص»، والحديث وإن كان موقوفاً إلا أنه له حكم المرفوع لأنه لا يقال من جهة الرأي.

إليه من عرض الدنيا» (١).

ولهذا كان المقام في الثغور بنىء المرابطة في سبيل الله تعالى أفضل من المجاورة بالمساجد الثلاثة باتفاق العلماء؛ فإن جنس الجهاد أفضل من جنس الحج، كما قال تعالى:

١٤٨ - ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾ (٢)

أخرج مسلم في «صحيحه» - واللفظ له - وأحمد، وعبد الرزاق، وابن جرير، وأبو داود، وابن حبان، وعزاه ابن كثير لابن مردويه، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم، وعزاه السيوطي لابن المنذر، والطبراني، وأبو الشيخ، عن النعمان بن بشير قال:

١٤٩ - «كُنْتُ عِنْدَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أَبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أَبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ». فَرَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ:

١٥٠ - «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٢/١٥) بإسناد حسن.

(٢) سورة «التوبة».

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
الآيَةَ إِلَى آخِرِهَا» .

واعلم أن النبي ﷺ في بعض أحاديث الطائفة المنصورة وفضائل الشام خصَّ هذه الطائفة بتعيين الشام محلاً لها في آخر الزمان فقال: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» - كما سيأتي معنا - على اعتبار أن أهل الغرب هم أهل الشام كما قال الإمام أحمد، وأيده ابن تيمية في الحديث . وعن أبي هريرة وابن السمط كانا يقولان:

١٥١ - «لا يزال المسلمون في الأرض حتى تقوم الساعة» .

وذلك أن رسول الله ﷺ قال:

١٥٢ - «لا تزال من أمتي عصابة قوامة على أمر الله عز وجل لا يضرها من خالفها، تقاتل أعداءها» .

إلى أن قال:

١٥٣ - «هم أهل الشام، ونكت رسول الله ﷺ بإصبعه؛ يوميء بها إلى الشام حتى أوجعها» .^(١)

ومن هذا الباب كان معاوية بن أبي سفيان يخصُّ أهل الشام بحديث الطائفة المنصورة فكان يقول:

١٥٤ - «واني أراكم وهم يا أهل الشام» .^(٢)

وكذا معاذ بن جبل بقوله:

١٥٥ - «وهم أهل الشام» .^(٣)

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ»، والفسوي في «المعرفة»، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٣٤٢٥).

(٢) أخرجه الطيالسي، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٩٥٨).

(٣) أخرجه أحمد، وعند البخاري: «وهم بالشام».

وقال قتادة:

١٥٦ - «لا أعلم أولئك إلا أهل الشام». (١)

ولا يتعارض هذا الذي تقدم من الأحاديث والأقوال مع قوله ﷺ في الحديث:

١٥٧ - «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها». (٢)

قال الحافظ:

١٥٨ - «قوله كما تأرز الحية إلى جحرها أي أنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما

تعيش به؛ فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها». (٣)

قال الطيبي:

١٥٩ - «شبه الإيمان وفرار الناس من آفات المخالفين والتجاءهم إلى المدينة،

بانضمام الحية وانقباضها في جحرها، ولعل هذه الدابة أشد فراراً وانضماماً

من غيرها فشبها بها بمجرد هذا المعنى، فإن المماثلة يكفي في اعتبارها بعض

الأوصاف». (٤)

وفي رواية ابن عمر - رضي الله عنهما - عند مسلم:

١٦٠ - «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما

تأرز الحية في جحرها».

قوله عليه السلام «بين المسجدين»: مكة والمدينة، وأن الإسلام أولاً وآخرأ

بهذه الصفة أهل غرباء، ففي الحديث إشارة إلى حصول ذلك في آخر

الزمان، كما حصل في أوله، ففي أوله فر المسلمون بدينهم إلى المدينة، وفي

(١) أخرجه الأوزاعي في «سننه» (١٧٨٥).

(٢) من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما.

(٣) «الفتح» (٩٣/٤) ﷺ

(٤) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢٥٦/١).

آخره إما بمجيئهم إليها بعد خرابها، أو اعتصامهم بها عند خروج الدجال كما أفادت الأحاديث. والله أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

١٦١- «قَوْلُهُ ﷺ: «ثُمَّ يَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ». يَحْتَمِلُ شَيْئَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ فِي أَمْكِنَةٍ وَأَزْمَنَةٍ يَعُودُ غَرِيبًا بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَظْهَرُ كَمَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ غَرِيبًا ثُمَّ يَظْهَرُ. وَلِهَذَا قَالَ: «سَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ». وَهُوَ لَمَّا بَدَأَ كَانَ غَرِيبًا لَا يَعْرِفُ، ثُمَّ ظَهَرَ وَعُرِفَ. فَكَذَلِكَ يَعُودُ حَتَّى لَا يَعْرِفُ ثُمَّ يَظْهَرُ وَيَعْرِفُ. فَيَقِلُّ مَنْ يَعْرِفُهُ فِي أَثْنَاءِ الْأَمْرِ كَمَا كَانَ مَنْ يَعْرِفُهُ أَوَّلًا.

وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ فِي آخِرِ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى مُسْلِمًا إِلَّا قَلِيلٌ. وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الدَّجَالِ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ عِنْدَ قُرْبِ السَّاعَةِ. وَحِينَئِذٍ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا تَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ثُمَّ تَقُومُ الْقِيَامَةُ. وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَمِثْلُهُ مِنْ عِدَّةٍ أَوْجِهَةٌ. فَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ المصْدُوقُ أَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مُمْتَنَعَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ عَلَى الْحَقِّ أَعْرَاءٌ لَا يَضُرُّهُمْ المَخَالِفُ، وَلَا خِلَافُ الخَازِلِ. فَأَمَّا بَقَاءُ الإِسْلَامِ غَرِيبًا ذَلِيلًا فِي الأَرْضِ كُلِّهَا قَبْلَ السَّاعَةِ فَلَا يَكُونُ هَذَا» (١).

وكما تقدم فإن ظهور الطائفة المنصورة في الشام؛ إشارة إلى بشرى عودة الخيرية لهذه الأمة، روى سعد بن أبي وقاص مرفوعاً:

١٦٢- «لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة» (٢).

قال شيخنا شيخ الإسلام الألباني - رحمه الله - :

١٦٣- «وإذا عرفت هذا ففي الحديث بشارة عظيمة لمن كان في الشام من أنصار

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٩٥-٢٩٦).

(٢) أخرجه مسلم، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٩٦٥).

السنة المتمسكين بها، والذابين عنها، والصابرين في سبيل الدعوة إليها. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زمرةهم تحت لواء صاحبها محمد ﷺ.

مما يبين لك أيها العادل المنصف أن الاعتصام بهذه الطائفة المنصورة المشار إليها في بحثنا؛ كالاعتصام بالكتاب والسنة، قال المناوي - رحمه الله - :
١٦٤ - «فمن فارقهـم خالف أمر الرحمن فلزم الشيطان»^(١).
لذا فإن الإمام البخاري جعل حديث الطائفة في كتاب الاعتصام وسمي بابه :

١٦٥ - «باب قول النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم»
وأعقبه باب :

١٦٦ - «قول الله تعالى : ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا﴾ [الأنعام / ٦٥]»
قال الحافظ :

١٦٧ - «ووجه مناسبتة لما قبله أن ظهور بعض الأمة على عدوهم دون بعض يقتضي بينهم اختلافاً حتى انفردت طائفة منهم بالوصف»^(٢).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

١٦٨ - «وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَمَا رُوِيَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - مَعَ مَا عَلِمَ بِالْحَسْبِ وَالْعَقْلِ وَكُشُوفَاتِ الْعَارِفِينَ : أَنَّ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ ابْتَدَأَ مِنْ مَكَّةَ أُمَّ الْقُرَى فَهِيَ أُمُّ الْخَلْقِ ، وَفِيهَا ابْتَدَأَتْ الرَّسَالَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ الَّتِي طَبَقَ نُورُهَا الْأَرْضَ وَهِيَ جَعَلَهَا اللَّهُ قِيَامًا لِلنَّاسِ : إِلَيْهَا يُصَلُّونَ وَيَحْجُونَ وَيَقُومُ بِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ . فَكَانَ الْإِسْلَامُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ ظُهُورُهُ

(١) «فيض القدير».

(٢) «الفتح» (٢٩٦/١٣).

بِالْحَجَازِ أَعْظَمَ، وَدَلَّتِ الدَّلَائِلُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى أَنَّ «مُلْكَ النَّبِوَّةِ» بِالشَّامِ وَالْحَشْرِ
 إِلَيْهَا. فَإِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ يَعُودُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ. وَهُنَاكَ يَحْشُرُ الْخَلْقُ.
 وَالْإِسْلَامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكُونُ أَظْهَرَ بِالشَّامِ. وَكَمَا أَنَّ مَكَّةَ أَفْضَلُ مِنْ بَيْتِ
 الْمَقْدِسِ فَأَوْلُ الْأُمَّةِ خَيْرٌ مِنْ آخِرِهَا. وَكَمَا أَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَعُودُ الْأَمْرُ إِلَى
 الشَّامِ كَمَا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
 الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى. فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَلْزَمُهُمْ مَهَاجِرَ إِبْرَاهِيمَ
 - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ بِالشَّامِ. فَلَا أَمْرَ مَسَاسَهُ كَمَا هُوَ الْمَوْجُودُ وَالْمَعْلُومُ»^(١).
 وقوله ﷺ في حديث الطائفة:

١٦٩ - «ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»^(٢).

المراد بالظهور: الوضوح، والثبات على الحق، والغلبة، والعلو، قال
 التوربشتي:

١٧٠ - «يريد أن الباطل وإن كثرت أنصاره فلا يغلب الحق بحيث يحقه ويظفيه
 نوره»^(٣).

قال تعالى:

١٧١ - ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ
 الْكَافِرُونَ﴾^(٤) (٣٢)

فهذه الطائفة - بفضل الله - ظاهرة على الحق بالحجة بدفعها للشبهات،
 وطردها للضلالات، وجرحها للساعين لإطفاء نور الله. ويأبى الله إلا أن
 يتم نوره ويستعمل غرسه في طاعته.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٣-٤٤).

(٢) ﷺ أخرجها مسلم، وغيره، وهي في «السلسلة الصحيحة» أرقام: (٢٧٠) و(١٩٥٦).

(٣) نقله في «المرقاة» (١٦/٤٢٤).

(٤) سورة «التوبة».

ومعنى «ظاهرين على الحق» يقتضي أنهم يعلمون بالحق ويعملون به ، فلا يتوقف ظهورهم عند حد العلم به ؛ بل هم يجاهدون عليه ، لذا جاء وصفهم في الحديث :

١٧٢- «لن يزال على هذا الأمر عصابة على الحق لا يضرهم خلاف من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم على ذلك» .^(١)

ووصفت هذه الطائفة على لسان النبي ﷺ بأنهم :

١٧٣- « . . ظاهرين على من ناوهم ، (وفي رواية: يُنصرون على من ناوهم عليه)» .^(٢)

وفي رواية :

١٧٤- « . . قاهرين لعدوهم» .^(٣)

أي : غالبين على من عاداهم ، كما في قوله تعالى :

١٧٥- « . . فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤) »^(٤)

أي : غالبين بالحجة والبرهان ، قال ابن كثير :

١٧٦- «أي : نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى» .

ففي الآية حضّ للمؤمنين أن يكونوا مع عصابة الحق دائماً ، قال إبراهيم النخعي -رحمه الله- :

١٧٧- «أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد أن عيسى كلمة الله وروحه» .^(٥)

(١) أخرجه أحمد، وغيره بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه مسلم، وأحمد، وغيرهما، وهي في «السلسلة الصحيحة» في الأحاديث: (٣٧٦) و(١٩٥٩) و(١٥٨٤).

(٣) أخرجه مسلم، وابن حبان، وهي في «السلسلة الصحيحة» (١١٠٨).

(٤) سورة «الصف».

(٥) عزاه السيوطي في «الدر» لعبد بن حميد، وابن المنذر.

وهذا التفسير ذهب إليه ابن جرير الطبري، وابن كثير - رحمهما الله - ،
قلت: وكذلك أصبحت - اليوم - حجة الطائفة المنصورة في أمة محمد
- عليه السلام - في القدس أم بلاد الشام ظاهرة بتمسكها بالكتاب والسنة
على منهاج النبوة والسلف، وتستمر بالظهور بظهور المهدي، ونزول عيسى
ابن مريم، وقتل المسيح الدجال - إن شاء الله - . قال الخطيب البغدادي
- رحمه الله - :

١٧٨ - «من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم،
ولا يفلاح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر
بالسوء إليهم حسير، وإن الله على نصرهم لقدير». (١)

وصحَّ عن النبي ﷺ لهذه الطائفة في الشام من البشائر والفضائل أنهم:

١٧٩ - «صفوته من خلقه وعباده». (٢)

١٨٠ - «والصَّفْوَةُ: (بكسر الصاد) خيار الشيء، أو خالص كل شيء. فإذا حذفت
الهاء؛ فتحت الصاد، فالصَّفْوَةُ: مصدر سمي به الصافي من الأشياء، وقال
الليث: الصَّفْوَةُ: نقيض الكَدَر». (٣)

لذا جاء معنى الصَّفْوَةُ بلفظ:

١٨١ - «خيرته من عباده». (٤)

وفي الحديث قال - عليه الصلاة والسلام - :

١٨٢ - «فإن الله قد توكلَّ (وفي رواية: تكفَّل) لي بالشام وأهله». (٥)

(١) «شرف أصحاب الحديث».

(٢) أخرجه ابن عساكر، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٩٠٩).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري، و«الفروق في اللغة» للعسكري، و«لسان العرب» لابن منظور.

(٤) أخرجه أحمد، وأبو داود، وهو الحديث التاسع في «فضائل الشام ودمشق».

(٥) أخرجه أحمد، وأبو داود، والطبراني، وهو الحديث الثاني في «فضائل الشام ودمشق» وفي «صحيح

الجامع» (٤٠٧٠).

قال ربيعة: سمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول:

١٨٣- «ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه».

وصح لهذه الطائفة: أن منافقيها لن يغلبوا أمر مؤمنيا، فعن خريم بن فاتك

الأسدي قال:

١٨٤- «أهل الشام سوط الله في أرضه يتنقم بهم من يشاء، كيف يشاء، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنهم، ولن يموتوا إلا همًا أو غيظًا أو حزنًا»^(١).

فلا يضرهم تكذيب من كذبهم، ولا مخالفة من خالفهم، ولا خذلان من خذلهم، ولا مناوأة من ناوهم، ولا معادة من عاداهم، لأنهم -بفضل الله- راسخون في العلم والحق، وعلى يقين أن الله تعالى ناصرهم،

فعنه صلى الله عليه وسلم:

١٨٥- «لا يضرهم من كذبهم ولا من خذلهم»^(٢).

وفي رواية:

١٨٦- «لا يضرهم من خالفهم (وفي رواية: لا يضرها من خالفها)»^(٣).

وفي رواية:

١٨٧- «لا يضرهم (خذلان) من خذلهم (وفي رواية: لا يضرهم من يخذلهم)»^(٤).

(١) رفعه الطبراني وهو ضعيف. ووقفه أحمد، وأبو يعلى، والفسوي، وأبو نعيم في كتابه «الفتن» وهو الصحيح، لكن حكم المرفوع. والحديث أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: رواه الطبراني مرفوعا، وأحمد موقوفاً ولعله الصواب، ورواها ثقات. وقال شيخنا في «الضعيفة» (١٣)، أخرجه أحمد وسنده صحيح يعني الموقوف وأوهم ابن تيمية أنه مرفوع وليس كذلك.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه).

(٣) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم، وما بين قوسين لابن ماجه، وهي في «السلسلة الصحيحة» أرقام: (١١٠٨) و(١١٩٥) و(١٩٦٢) و(١٩٧١) و(٣٤٢٥).

(٤) أخرجه مسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم، وهي في «السلسلة الصحيحة» (٤٠٣) و(١٩٥٧).

وفي رواية :

١٨٨ - «لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم» .^(١)

ولرسوخهم في الحق وشموخهم في العزة فإنهم :

١٨٩ - «لا يباليون من خذلهم» .^(٢)

وزاد ابن ماجه بسند صحيح :

١٩٠ - «ولا من نصرهم» .

فالسلفيون المقدسيون - ولله الحمد - ظاهرون لأنهم ماضون ، وغايتهم واضحة وهي : نيل مرضاة الله ، ويسألون الله الثبات على الحق الذي نزل ، ليستمروا في قيامهم بحفظ الدين والعمل بوظيفة الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله على بصيرة ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وما جرح الضلال ولا تزكية العدول الذي تجريه الطائفة المنصورة في القدس إلا دفاعاً عن دين الله وغربة ؛ ليميز الله الخبيث من الطيب ، لذا فهم في ابتلاء مستمر ، فمن عرف دعوة الحق وأثر الدنيا على الآخرة ولم يثبت على الحق والسنة ؛ فقد خذل والخاذل ضد الناصر ، فمن خذل فلا يباليونه .
وتقول : خذله خذلاً وخذلاناً : ترك نصرته وكان يظن به أن ينصره . قال الليث :

١٩١ - «تقول : خذل يخذل خذلاً وخذلاناً ، وهو : ترك نصرته أخيك . وخذلان

الله للعبد : ألا يعصمه من السيئة فيقع فيها» .^(٣)

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة ؛ النهي عن خذلان المسلم ، والأمر بنصر المظلوم . واعلم أن ظهور الطائفة على الحق ، يعني : علوها على الناس لذا

(١) أخرجها مسلم، وأحمد، وغيرهما .

(٢) أخرجها أحمد، وابن ماجه، بسند صحيح .

(٣) «تهذيب اللغة» .

جاء في ألفاظ الحديث :

١٩٢- «ظاهرين (وفي رواية: ظاهرة) على الناس». (١)

فلم يتوقف معنى الظهور عند الغلبة، بل تجاوزه إلى معنى أسمى من ذلك وأشرف وهو: النصر، لذا جاء في الأحاديث أن هذه الطائفة:

١٩٣- «(منصورة)، (وفي رواية: منصورين أينما توجهوا)». (٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

١٩٤- «وَإِذَا قَدَّرَ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ حَصَلَ لَهُ سُوءٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِخِلَافِ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ رَسُولُهُ وَاتَّبَاعُهُ؛ فَهَذَا مِنْ ذُنُوبِهِ وَنَقْصِ إِسْلَامِهِ، كَالْهَزِيمَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ. وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

١٩٥- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥١) ﴿٣﴾
وَقَالَ تَعَالَى:

١٩٦- ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّا جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٣) ﴿٤﴾

وَفِيمَا قَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَاتَّبَاعِهِمْ وَنَصْرِهِمْ وَنَجَاتِهِمْ وَهَلَاكِ أَعْدَائِهِمْ عِبْرَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (٥)

وكما أن الطائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة، فهي أيضاً ظاهرة على الناس حتى يأتي أمر الله، فعنه ﷺ:

(١) أخرجها البخاري، ومسلم، وأحمد، والطبراني وغيرهم، وهي في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦١) و(٣٣٦٧).

(٢) أخرجها مسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم، وهي في «السلسلة الصحيحة» (٤٠٣)، وتخرجه أحاديث فضائل الشام الحديث السادس.

(٣) سورة «خافر».

(٤) سورة «الصفات».

(٥) «مجموع الفتاوى» (٢٩٩/١٨).

١٩٧ - «لا تزال أمة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله (عز وجل) وهم ظاهرون على الناس، (وفي رواية: حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)». (١)

واستمرار الطائفة على الظهور منصوره؛ يعني ثباتها على الحق الذي جاء به الأنبياء والمرسلين، لذا جاء في نصوص حديث الطائفة:

١٩٨ - «وهم كذلك (وفي رواية: وهم على ذلك)». (٢)

يعني أنهم ثابتون لم يتزحزحوا عن الحق، ولم يتغير وافهم كذلك عبر الزمان إلى قيام الساعة، وهم على ذلك من الثبات على الاستقامة، والتمسك بالحق، والغلبة والقهر لمن عاداهم إلى قيام الساعة.

وأفاد تعدّي حرف (على) الدال على العلو والظهور والتمكن والاستقرار في أقواله - عليه السلام - : «ظاهرين على الحق»، «ظاهرين على الناس»، «ظاهرين على من ناوهم»، «قوامة على أمر الله». «وهم على ذلك». أنهم في علو ورفعة وارتفاع في الدرجات، بينما الذين يناوؤهم في انحطاط وذلة - نعوذ بالله من الخذلان - قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

١٩٩ - «لكن أهل السنة يبقون ويقتى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم، وذلك أن أهل البدعة شنأوا بعض ما جاء به الرسول فابترهم بقدر ذلك، والذين أعلنوا ما جاء به النبي فصار لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فإن ما أكرم الله به نبيه من سعادة الدنيا والآخرة فللمؤمنين المتابعين نصيب بقدر إيمانهم، فما كان من خصائص النبوة والرسالة فلم يشارك فيه

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم، وهي في «السلسلة الصحيحة» في الحديث (١٩٥٥) و(١٩٦١) و(١٩٧١).

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم، وهي في «السلسلة الصحيحة» في الحديث (١١٠٨) و(١٩٥٧) و(١٩٦١).

احد من أمته ، وما كان من ثواب الإيمان والأعمال الصالحة فلكل مؤمن نصيب بقدر ذلك» .^(١)

ولم تنل الطائفة المنصورة حظها من نعمة الله في الثبات والعلو؛ ولا سميت بالظاهرة والمنصورة إلا لأنها على قلتها عضت على الكتاب والسنة بالنواجذ، ولازمت الحق وتمسكت به ودافعت عنه؛ في الوقت الذي ظهر فيه الجهل وارتفع العلم ووقعت الفتن، وباع من باع دينه، بل باع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل، فخذلها وخالفها الأكثرون، وكذبها وعادها المعاندون. فصبرت فكان مما امتن الله عليها بعد الثبات والظهور؛ أن جعل منها أئمة يهدون بأمره، قال تعالى:

٢٠٠- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) ﴿٢﴾
قال ابن القيم -رحمه الله-:

٢٠١- «فإن الداعي إلى الله لا يتم له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه، وبصيرته به، وصبره على تنفيذ الدعوة إلى الله باحتمال مشاق الدعوة، وكف النفس عما يوهن عزمه ويضعف إرادته، فمن كان بهذه المثابة كان من الأئمة الذين يهدون بأمره تعالى» .^(٣)

وقوله عليه السلام في الحديث: «حتى يأتي أمر الله عز وجل» إشارة إلى قرب يوم القيامة، أفادته رواية جابر بن عبد الله:

٢٠٢- «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٨/٢٨).

(٢) السجدة.

(٣) «إعلام الموقعين» (١٣٥/٤).

بعضكم على بعض أمراء، تكرمه الله هذه الأمة»^(١).
قال الحافظ :

٢٠٣- «فظهر بذلك أن المراد بأمر الله . . وقوع الآيات العظام التي يعقبها قيام الساعة ولا يتخلف عنها إلا شيئاً يسيراً، . . فإن الذين يقاتلون الدجال يكونون بعد قتله مع عيسى، ثم يُرسل عليهم الريح الطيبة فلا يبقى بعدهم إلا الشرار»^(٢).

فقوله ﷺ : في الحديث : «حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»، تفسره الرواية في الحديث «ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة». فأمر الله، إشارة إلى هبوب الريح الطيبة والطائفة ظاهرون على الحق. قال الشيخ محمد صالح العثيمين -رحمه الله- :

٢٠٤- «والمراد بأمر الله : أمر الله الذي يكون به موت المؤمنين وأولياء الله المتقين، فإذا مات المؤمنون المتقون لم يبقَ إلا أشرار الخلق وعليهم تقوم الساعة»^(٣).
فيكون المراد بالساعة في الرواية التي حدّث بها عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ :

٢٠٥- «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق (وفي رواية: شرار الناس)»^(٤).
التي تعقب هبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل من في قلبه شيء من الإيمان، قال النووي -رحمه الله- :

٢٠٦- «باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان : . . وأما معنى الحديث فقد جاءت في هذا النوع أحاديث منها : «لا تقوم

(١) أخرجه مسلم، وأحمد، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٠).

(٢) «الفتح» (١٢٥/٢٠).

(٣) «فتاوى نور على الدرب».

(٤) أخرجه مسلم، وأحمد.

الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله». ومنها: «لا تقوم على أحد يقول الله الله». ومنها: «لا تقوم إلا على شرار الخلق». وهذه كلها وما في معناها على ظاهرها، وأما الحديث الآخر: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة». فليس مخالفاً لهذه الأحاديث لان معنى هذا: أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة، وعند تظاهرها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراتها ودونها المتناهي في القرب والله أعلم».

وبناء على ما تقدم يحمل حديث الطائفة الذي فيه ذكر قيام الساعة في قوله ﷺ:

٢٠٧- «(حتى تقوم الساعة) (وفي رواية: حتى تأتيهم الساعة)»^(١).

وفي رواية:

٢٠٨- «حتى يأتي وعد الله»^(٢).

على قرب القيامة، يؤيده قوله - عليه السلام -:

٢٠٩- «لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس»^(٣).

وقوله - عليه السلام -:

٢١٠- «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوهم حتى

يقاتل آخرهم المسيح الدجال»^(٤).

أما الساعة التي في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فالمراد بها: التي

تقوم على شرار الخلق.

٢١١- «ولأن الموصوفين بأنهم شرار الناس، غير الموصوفين بأنهم على الحق

(١) أخرجها البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم، وهي في «السلسلة الصحيحة»، أرقام: (٢٧٠) و(٤٠٣)

و(٩٦٣) و(٩٦٤) و(٩٦٥) و(١١٠٨) و(١٩٦٥) و(٣٤٢٥).

(٢) أخرجها النسائي في «السنن الكبرى» وهي في «السلسلة الصحيحة» (١٩٣٥).

(٣) «صحيح ابن ماجه» (٩).

(٤) أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٩٥٩).

مقيمون» (١).

فبقتل الدجال يظهر الدين في زمن عيسى - عليه السلام - ويدخل الإسلام كل بيت من مدر ووبر، قال الله تعالى:

٢١٢- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) (٢)

وبهذه الآية افتتح شيخ الإسلام الألباني - رحمه الله - سلسلته الصحيحة تحت عنوان:

٢١٣- «المستقبل للإسلام».

وقال - رحمه الله -:

٢١٤- «تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله . . . (وذكر الأحاديث بهذا الشأن)»

ثم بعد موت عيسى - عليه السلام - يبدأ النقص في الدين شيئاً فشيئاً؛ إلى أن تهب الريح الطيبة فتقبض أرواح المؤمنين فتقوم الساعة بعدئذ على شرار الناس الذين هم:

٢١٥- «شر من أهل الجاهلية» (٣).

لذا قال الحافظ:

٢١٦- «قال البيهقي وغيره: الأشرار منها صغار وقد مضى أكثرها، ومنها كبار

(١) قاله: ابن جرير الطبري.

(٢) سورة «التوبة».

(٣) أخرجه مسلم.

ستأتي . قلت : وهي التي تضمنها حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم وهي : الدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها كالحامل المتم ، ونزول عيسى بن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والريح التي تهب بعد موت عيسى فتقبض أرواح المؤمنين ، وقد استشكلوا على ذلك حديث : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله . فإن الظاهر أنه لا يبقى أحد من المؤمنين فضلاً عن القائم بالحق ، وظاهر الثاني : البقاء ، ويمكن أن يكون المراد بقوله : « أمر الله » هبوب تلك الريح فيكون الظهور قبل هبوبها» .^(١) واعلم أن الطائفة المنصورة تعيش أشد أيامها غربة قبل هبوب الريح الطيبة التي تأخذ بأرواح المؤمنين ، وفي غربتها طوائف من الناس : الشيخ الكبير والعجوز يقولون :

٢١٧- «أدر كنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلا الله) فنحن نقولها» .

ففي الحديث إشارة إلى ضعف إيمان هؤلاء بربهم إلى درجة أنهم يجهلون الكثير الكثير من تعاليم الإسلام فضلاً عن أركان الإسلام ، أو لفسادهم يتجاهلون من غير جحود ما يعلمونه من تعاليم الإسلام فضلاً عن أركان الإسلام ، فعن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً :

٢١٨- «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب ، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية» .^(٢)

فالطائفة المنصورة حتى تلك اللحظة - ولله الحمد - ظاهرة على الحق ، لا تكفر أحداً من المسلمين ، لأنها تعلم أن نبيها محمداً ﷺ قال :

٢١٩- «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً

(١) «الفتح» (٨٥/١٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه، والحاكم، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٨٧).

من قلبه». (١)

وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك مرفوعاً:

٢٢٠- «إن الله تعالى قد حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وفي الصحيحين، وغيرهما عن أنس مرفوعاً:

٢٢١- «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة،

ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة،

ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة».

وبناء عليه فإذا هبّت الرياح الطيبة فإنها تأخذ أرواح:

٢٢٢- «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان» (٢).

فهذا الفريق من المؤمنين: ماتوا ولم يقوموا بلوازم الشهادتين من الفرائض

والابتعاد عن المحرّمات لكنهم قالوا: «لا إله إلا الله» مبتغين فيها وجه

الله، أو بمعنى آخر: قالوا كلمة الإخلاص صادقين بها، فأنجتهم من النار.

فهؤلاء إنما تحرم عليهم النار التي وجبت على الكفّار، فهم وإن دخلوها،

لا يخلّدون معهم فيها، بل يخرجون منها بالشفاعة أو غيرها، ثم يدخلون

الجنة ولا بد. وهذا الذي فهمه السلف الصالح وعليه اعتقاد الطائفة المنصورة

والفرقة الناجية ومنهم حذيفة بن اليمان الذي ردّ على صلة بن زفر بقوله:

٢٢٣- «تنجيهم من النار»، «تنجيهم من النار»، «تنجيهم من النار».

ومن مات من المؤمنين وقد قام بلوازم الشهادتين ولكنه تهاون ببعض

الفرائض، وارتكب بعض المحرّمات فهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه؛

وإن شاء غفر له. ومن مات من المؤمنين وقد قام بلوازم الشهادتين فهذا

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٢) متفق عليه.

تحرم عليه النار مطلقاً ويدخل الجنة . فهذا التقسيم هو الذي أشار إليه شيخ الإسلام الألباني - رحمه الله - في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ١٩٩) وبه كما قال: تجتمع الأدلة ولا تتعارض .

ولأن أحاديث الطائفة أفادت: عدم خلو الأرض من الجهاد في سبيل الله، فالطائفة المنصورة قائمة على الحق تجاهد في سبيل الله، فإن لم تتواجد الطائفة المنصورة في مكان ما؛ كانت في مكان آخر حتى تقوم الساعة، وإن لم يكن جهادها بالسنان كان جهادها بالكلمة واللسان . وإذا جاء في لفظ الحديث «طائفة»، والطائفة تقع على الواحد فما فوق، ففي قوله تعالى:

٢٢٤- ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ (٨٤) (١)

الإشارة لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده، فالجهاد ماضٍ في أمة محمد إلى قيام الساعة، نقل القرطبي قول الزجاج في كتابه «الجامع لأحكام القرآن»: ٢٢٥- «أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالجهاد وإن قاتل وحده؛ لأنه قد ضمن له النصر» .

ونقل قول ابن عطية:

٢٢٦- «هذا ظاهر اللفظ، إلا أنه لم يجرى في خبر قط أن القتال فرض عليه دون الأمة مدة ما؛ فالمعنى والله أعلم أنه خطاب له في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه؛ أي أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له؛ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده؛ ومن ذلك قول النبي ﷺ:

٢٢٧- «والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي» (٢) .

(١) سورة «النساء» .

(٢) أخرجه البخاري، وأحمد، وغيرهما، ومعناه: لأقاتلنهم حتى أنفرد في قتالهم وحدي، ومعنى السالفة:

والجهاد في سبيلِ الله حظ الطائفة المنصورة لأنهم أولياء الله . وخطَّة الطائفة المنصورة هي خطَّة الأنبياء والمرسلين وتقوم على :

نشر الدعوة، وإحياء السنَّة، وكسر البدعة، ومحو الضلالات، والدفاع عن التوحيد والموحِّدين، وصدِّ المشركين، وإزالة أنواع الشرك والمعاصي في المجتمعات فهي تعمل على إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كل ذلك وفق ضوابط الشرع على منهاج النبوة والسلف .

لذا فهُم الطائفة المنصورة دائماً: إنقاذ البشرية من الأعيب شياطين الإنس والجن، والأخذ بيدها نحو الخير والبركة، والعمل على نجاتها من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

وتستعمل الطائفة المنصورة في دعوتها إلى الله كافة الوسائل للدفاع عن دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتجاهد بإيمانها ولسانها وقلمها وسلاحها لتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .

وبناء عليه فإن الطائفة المنصورة مستمرة في جهادها للكفار والمنافقين وأهل الأهواء والمبتدعة الضالين إلى قيام الساعة، فعن سلمة بن نفيل الكندي قال :

٢٢٨- «كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقال رجل : يا رسول الله! أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها» .

وفي رواية : أن القائل هو سلمة، وأنه أتى النبي ﷺ فقال :

٢٢٩- «إني سئمت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعتم الحرب أوزارها، قلت : لا قتال» .

قال في «النهاية»: صفحة العنق، وكنى بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا به .

وفي رواية قال سلمة :

٢٣٠- «يا رسول الله! تُركت الخيل، وألقي السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال!». .

فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال :

٢٣١- «كذبوا! الآن (الآن) جاء القتال، ولا تزال من أمتي أمة قائمة على الحق

(وفي رواية: يقاتلون على الحق ظاهرة على الناس)». (١)

فدل الحديث على أن الجهاد في سبيل الله مستمر في أمة محمد ﷺ، وأن الأرض لا تخلو منه في أي حال من الأحوال، وأن الطائفة التي تحظى به هي المنصورة، وأن الأمة ستواجه خلال مراحل عمرها أعداءً لله كثر همهم

الأول تضليل الناس وإخراجهم من النور إلى الظلمات، قال تعالى :

٢٣٢- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا

وَنَصِيرًا﴾ (٣١) (٢)

ففي الآية تعريض بأن يفوض النبي - عليه السلام - الأمر إليه، فإنه عز وجل كاف في الهداية والنصر، وهذا خير رد على أصناف المجرمين: المنافقين، والمناوئين، والمخالفين، والمخذلين، والمكذبين، والمبتدعة الضالين، الذين يتلاعبون بدين الله تعالى وقد هجروا كتاب الله وأفسدوا ما فيه من الحق بالتكذيب ورمي الشبهات، ومشوا في العداة للظاهرين على الحق طعنًا جهاراً نهاراً قاتلهم الله أنى يؤفكون. قال ابن كثير - رحمه الله - :

٢٣٣- «وإنما قال: ﴿هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع

القرآن، لئلا يهتدي أحد به، ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن».

(١) أخرجه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والطبراني، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٩٣٥) و(١٩٦١) و(٣٣٦٧).

(٢) سورة «الفرقان».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :
٢٣٤- «والكتاب هو الأصل ، ولهذا أول ما بعث الله رسوله أنزل عليه الكتاب ،
ومكث بمكة لم يأمره بالسيف حتى هاجر وصار له أعوان على الجهاد» .
وقال :

٢٣٥- «ودين الإسلام أن يكون السيف تابِعاً للكتاب ، فإذا ظهر العلم بالكتاب
والسنة وكان السيف تابِعاً لذلك كان أمر الإسلام قائماً» .
وقال -رحمه الله- :

٢٣٦- «وكل علم فلا بد له من هداية ، وكل عمل لا بد له من قوة ، فالواجب أن
يكون هو أصل كل هداية وعلم ، وأصل كل نصرة وقوة ، ولا يستهدي العبد
إلا إياه ، ولا يستنصر إلا إياه» .
وقال -رحمه الله- :

٢٣٧- «ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدي ، وسيف ينصر ، وكان قوام الناس
بأهل الكتاب وأهل الحديد ، كما قال من قال من أهل السلف : صنفان إذا
صلحوا صلح الناس : الأمراء والعلماء ، وقال : ولهذا كانت السنة أن الذي
يصلي بالناس صاحب الكتاب ، والذي يقوم بالجهاد صاحب الحديد» .
قال تعالى :

٢٣٨- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥) ﴿١﴾
فالعلماء الذين هم ورثة الأنبياء أهل عدل وإنصاف ، لأنهم شهداء لله ،
وشهادتهم قائمة على القسط . ولا يجوز لهم بتاتا المحاباة في دين الله -

(١) سورة «الحديد» .

لأي كان - مهما كلف الثمن .

وتستمر الطائفة المنصورة قائمة على الحق بكتاب يهدي ، وتقاتل على الحق بسلاح ينصر ، فهي تتقل بتمكينها وبالحكمة والشجاعة ، من التمكين بالحجة إلى التمكين بالقتال ، فإذا ظهر العلم بالكتاب والسنة الصحيحة ومُكِّن للطائفة ، كان استعمال السلاح على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة تابعاً له ، قال الحرالي :

٢٣٩- «ففي طيه إشعار بما وقع وهو واقع وسيقع من قتال طائفة الحق لطائفة البغي سائر اليوم المحمدي مما يخلص من الفتنة ، ويخلص الدين لله توحيداً ورضاً وثباتاً على حال السلف الصالح» .^(١)

ومعلوم أنه جاء في أحاديث الطائفة الجهاد بنوعيه : بالحجة والسلاح ، فعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال :

٢٤٠- «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق (وفي رواية : يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم) لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة (وفي رواية : يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله) وهم على ذلك» .^(٢)

ومعناه أن الجهاد واقع بنوعيه ومستمر في أمة محمد - عليه السلام - إلى أن تقوم الساعة فعن كعب بن مالك مرفوعاً :

٢٤١- «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه» .^(٣)

وعنون له شيخنا الألباني بقوله :

٢٤٢- «جهاد اللسان» .

فجهاد الطائفة لم يقف عند حدِّ قتالها بالكلمة والأمر بالمعروف والنهي

(١) نقله المناوي في «فيض القدير» (٥١٤/٦).

(٢) أخرجه مسلم، والطيالسي، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١١٠٨) و(١٩٥٨).

(٣) أخرجه أحمد، وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٦٣١).

عن المنكر، ودعوتها الناس إلى الخير وذلك من خلال التصفية والتزكية - تصفية العقيدة وخلع ما علق فيها من شوائب الشركيات والمبتدعات والضلالات، وتزكية النفس بحيث تسمو بصاحبها إلى الفلاح، وترتقي به إلى اليقين - بل ينتقل جهادها وفق الضوابط الشرعية إلى القتال بالسلاح لذا جاء في قوله ﷺ:

٢٤٣- «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين حتى ينزل عليهم عيسى بن مريم». (١)

وفي رواية: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة». وقد تقدم في (٢٠٢) وجاء في رواية وهب بن منبه عن جابر بن عبد الله مرفوعاً التصريح بأن أميرهم «المهدي»:

٢٤٤- «ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. الحديث». (٢)
لذا عنون له شيخنا - رحمه الله - في «سلسلته الصحيحة» بقوله:

٢٤٥- «نزول عيسى واجتماعه بالمهدي».
ونقل في «قصة المسيح الدجال»:

٢٤٦- «كان ابن سيرين يرى أنه المهدي الذي يصلي وراءه عيسى». (٣)

أما قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال». وقد تقدم في (٢١٠) وفي رواية:

(١) أخرجه الأوزاعي في «السنن» (١٧٨٥) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .
(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسند»، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٣٦).
(٣) (صفحة: ٩٩).

٢٤٧- «حتى يقاتلوا الدجال». (١)

ففيه الإشارة إلى استمرار الطائفة في جهادها بالقتال زمن عيسى - عليه السلام - فقد جاء في حديث الطائفة:

٢٤٨- «كذبوا! الآن (الآن) جاء القتال، لا تزال من أمتي أمة قائمة على الحق (وفي

رواية: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون في سبيل الله) ظاهرين على الناس

لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله (لهم) قلوب قوم (وفي رواية: أقوام)

فيقاتلونهم ويرزقهم (الله) منهم، (وفي رواية: قاتلوهم لينالوا منهم)،

(وفي رواية: تقاتلونهم فيرزقكم الله منهم) كلما ذهب حرب نشب حرب

قوم آخرين، حتى تأتيهم (تقوم) الساعة، (وفي رواية: حتى يأتي وعد الله)

كأنها قطع الليل المظلم، فيفزعون لذلك؛ حتى يلبسوا له أبدان الدروع، ولا

تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج، (وفي رواية: حتى يأتي

أمر الله عز وجل)، ولا يزال الخيل معقوداً في نواصيها الخير إلى يوم القيامة،

(وأهلها معانون عليها) وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث وأنتم تتبعوني

أفناداً يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين بالشام». (٢)

وقوله ﷺ في الحديث: «ولا يزال الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم

القيامة». وفي رواية عن عروة بن أبي الجعد عن النبي ﷺ قال:

٢٤٩- «الخير معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم». (٣)

وقد جعله الإمام البخاري في كتاب الجهاد، وأشار إلى معناه في الترجمة

بقوله:

(١) أخرجه أحمد وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٤).

(٢) أخرجه النسائي، وأحمد، وابن حبان، والطبراني في «الكبير» وفي «مسند الشاميين» وأخرجه البخاري

في «التاريخ»، والفسوي في «المعرفة»، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٩٣٥) و(١٩٦١) و(٣٣٦٧)

و(٣٤٢٥).

(٣) الحديث متفق عليه، وأخرجه أحمد، وغيرهم.

٢٥٠ - «باب الجهاد ماض مع البرِّ والفاجر».

وقال ابن عبد البر رحمه الله:

٢٥١ - «وهذا يوضح لك ما قلنا من أن معنى هذا الخبر في الجهاد وإنه ماض إلى يوم القيامة، وأن القيامة تقوم على هذا الدين وأهله يجاهدون العدو في سبيل الله، حيث شاء الله من أرضه والحمد لله»^(١).

وقال الحافظ:

٢٥٢ - «وفيه أيضا بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة، لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون»^(٢).

ومن خلال مطالعتنا لجهاد الطائفة المنصورة نجد أن الجهاد المزعوم الذي يدعيه المبتدعة (الثوار!! أو ما يسمى - اليوم - بالمقاومة!!) أورث ويورث الذلَّ والعار للمسلمين. لأن غايته الدنيا، وإشباع نفوس هؤلاء المتعجلين - من أهل الأهواء - الشهوات، وهو ضدَّ الجهاد الذي نص عليه الوحي، فالأمة حين تترك الجهاد الشرعي، وتتعلق بالدنيا، فإن الله تعالى يسلب عليها ذلاً لا ينزعه حتى ترجع إلى دينها. فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال سمعت النبي ﷺ يقول:

٢٥٣ - «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»^(٣).

وتشير كثير من روايات حديث الطائفة المنصورة إلى أن بلاد الشام في آخر الزمان بلاد جهاد في سبيل الله حتى يأتي أمر الله، وبلاد ظهور دين الله الإسلام، لذا فهي عقر دار المؤمنين، فإذا وقعت الفتن فالشام تكون لدين

(١) «التمهيد» (١٤/١٠٠).

(٢) «الفتح» (٦/٥٦).

(٣) أخرجه أبو داود، والبيهقي، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١١).

المسلم أسلم، لأنها الأرض المقدسة وفيها الطائفة المنصورة، لذا فهي محل خلافة المهدي، ونزول عيسى، وعلى أرضها يقتل المسيح الدجال، قال - عليه السلام -:

٢٥٤- «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى عليهما السلام ورأت أمي (حين حملت بي) أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام»^(١).
قال ابن كثير - رحمه الله -:

٢٥٥- «وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم . . .».

ولجهد الطائفة المنصورة باللسان تأثير أسرع وأنكى من تأثير النبل، ففي الحديث الذي أشرنا إليه أعلاه (رقم ٢٤١) جاء في الشطر الثاني منه:
٢٥٦- «والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل».

فجرح القتال بالحجة الذي تحدثه الطائفة المنصورة بكلمتها ولسانها لمناوئتها؛ لعلّه أشد إيلاماً وفتكاً وأكثر عمقاً من جرح القتال باللسان. فإذا جاءت الخلافة كان الجرح باللسان رقيق الجرح باللسان.

واعلم أن الشام هو الإقليم الشمالي من شبه جزيرة العرب، ويشمل: فلسطين، والأردن، وسوريا ومنها أنطاكية، ولبنان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

٢٥٧- «وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَيَّزَ أَهْلَ الشَّامِ بِالْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ دَائِمًا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، وَبَانَ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ فِيهِمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ دَائِمٍ مُسْتَمِرٍّ فِيهِمْ مَعَ الكَثْرَةِ وَالْقُوَّةِ، وَهَذَا الوَصْفُ لَيْسَ لِغَيْرِ الشَّامِ مِنْ أَرْضٍ»

(١) أخرجه أحمد، وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٥٤٥) و(١٥٤٦) و(١٩٢٥).

الإسلام؛ فَإِنَّ الْحَجَّازَ - الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْإِيمَانِ نَقَّصَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْهَا: الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالنَّصْرَ وَالْجِهَادَ، وَكَذَلِكَ الْيَمَنُ وَالْعِرَاقُ وَالْمَشْرِقُ. وَأَمَّا الشَّامُ فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَمَنْ يُقَاتِلْ عَلَيْهِ مَنْصُورًا مُؤَيَّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ». (١)

وقال - رحمه الله -:

٢٥٨ - «ثم إن بغداد إنما صار فيها من العلم والإيمان ما صار، وترجحت على غيرها بعد موت مالك وأمثاله من علماء أهل الحجاز؛ وسكنها من أفضى السنة بها وأظهر حقائق الإسلام، مثل أحمد بن حنبل، وأبي عبيد، وأمثالهما من فقهاء الحديث، ومن ذلك الزمان ظهرت بها السنة في الأصول والفروع، وكثر ذلك فيها وانتشر منها إلى الأمصار، وانتشر أيضاً من ذلك الوقت في المشرق والمغرب». (٢)

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/٤٤٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠/٣١٩).

صدر للمؤلف

1. إنارة سبل الأنام بإفشاء السلام .
2. اقرأ ثم اكتب وصيَّتك .
3. دروس تبسيط العقيدة الإسلامية .
4. إتحاف الأنام في فضائل المسجد الأقصى والشام .
5. النقد والإحصاء للأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضل القدس والمسجد الأقصى .
6. تبصير المسلمين إلى الصراط المستقيم .
7. كيف نفهم وحدة الصف من سورة «الصف» .
8. وحدة الصف من تسوية الصف .
9. من سير الصالحين : قصة أبي القرن .
10. زمن الهرج باختصار : القاتل والمقتول في النار .
11. العدل والإنصاف من خصائص أهل السُّنة والجماعة .
12. نور على الدرب «كلمات في الدعوة والمنهاج» .
13. التفسير السلفي للقرآن الكريم «تفسير عشر سور من القرآن حسب النزول» .
14. السلفيون المقدسيون هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية . الطبعة الثانية .
15. سيرة إبراهيم الخليل في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة .
16. دعوتنا سلفية لا وهابية .
17. النور المبين في الخبر الأمين تفسير قوله تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ .
18. ابتلاء الناس بالدين في ضوء قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ .

19. الجزء الأول والثاني من كتاب القرآن في منهاج الطائفة المنصورة «حلقات علمية في تفسير القرآن على منهاج النبوة والسلف».
20. إعلام الفهامة بأن أعظم كرامة لزوم الاستقامة . الطبعة الثانية .
21. ومقالات أخرى .

